فيروز

الكاتبة: مريم محمد طه

رقم الإيداع: 22195 / 2018

ISBN: 978-977-798-080-7

الطبعة الأولى يناير 2019

فَيرُوزَات

دار الحلم للنشر والتوزيع والترجمة ©

عضو اتحاد الناشرين المصريين

القاهرة - جمهورية مصر العربية

E-mail: dar_el7elm@hotmail.com

info.darel7elm@Gmail.com

Tel: 00242216335 - Mob: 00201141824562

Sales Manager Mob :00201146644959

جميع الحقوق محفوظة للناشر©

إن دار الحلم للنشر والتوزيع غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء الوارده في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبر بالضروره عن آراء الدار، كما أن جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار ولا يجوز طبع أو إعادة استخدام أي جزء من العمل في أي صوره كانت إلا بموجب موافقه خطية من الناشر..

9 789777 980807

فيروزات

الكاتبة

مريم محمد طه

الحلم
للنشر و التوزيع

إهداء

إلى بابا : الاخ الاكبر و الصديق الافضل، "لولا أنت ما كنت أنا"، أنا لسة فاكرة لما كنت مش مكملة 10 سنين و بستناك ترجع من معرض الكتاب بالقصص ليا، و لسة فاكرة اول مرة جبتلي كراسة و قولتلي "اكتبي يا مريم"، و لسة فاكرة نظرة الفخر في عنيك لما كتبت اول قصة و انا صغيرة، و لسة فاكرة فرحتك بيا يوم استلام الجايزة، و لسة فاكرة كل كلمة تشجيع ... شكرا

إلى ماما: شكرًا على وجودك...

إلى منى و نهى : الناس غلطت لما قالولي عليكم "اخواتي" عشان انتوا "بناتي" .. بحبكم

إلى اسراء سامي : مفيش حاجة حلوة بتكمل غير ما تكوني اول شئ في بالي، انتي معايا رغم فراقك، متأكدة انك فرحانة بيا ..وحشتيني

إلى ندى محمد و اسراء خالد : اول اتنين شجعوني و اول اتنين قرأوا ليا و اول اتنين قالولي " واوا"، ندى الناقدة البنائة و اسراء القارئة المستشارة ...شكرا

إلى ايمان، نورهان، ريهام، رانيا، منة، اسراء سعيد، اسراء عبد المحسن، داليا، هاجر، صفاء، سلمى، دنيا، ماجدة، هبة، سمية، أية، مريم، ندى، شيرين، فاطمة، يارا : شكرا على كل كلمة تشجيع و كل حب .

هل شعرت يوماً أن فيروز
تغني لك؟..
لك وحدك؟!

قصتنا الغريبة

سألها ذات مرة: هل الحب جميل؟

فضحكت قائلة: نعم.

أما الآن فقلبها يصرخ بألف "لا"، الحب سيئ ومؤلم، عندما تحب وليس من حقك أن تقولها فهذا يعني أن الحب سيئ، عندما لا تعلم أبسط ما يحدث في حياة من تحب فهذا يعني أن الحب سيئ، عندما لا تستطيع النوم ليلًا من فرط ألم الحب فهذا يعني أن الحب سيئ، وعندما تنام نهارًا من فرط البكاء فهذا يعني أن الحب سيئ، عندما ترى الجميع ولا ترى الوحيد الذي يريد قلبك أن يراه فهذا يعني أن الحب سيئ، عندما تريد أن تطمئن بصوت من تحب ولا تجده فهذا يعني أن الحب سيئ، عندما تتأمل صورة من تحب بالساعات وتشتاق إليه وتفتقده ولا تستطيع أن تخبره فهذا يعني أن الحب سيئ، عندما يصبح صوت من تحب أعقد ما تتمنى فهذا يعني أن الحب سيئ، وبعد كل هذا الكم من

الألم والعناء تكتشف أنك لا تستطيع التوقف عن الحب، فهذا أيضا يعني أن الحب سيئ، الحب سيئ ومؤلم بشدة فلا ترتكبوه، الحب سيئ لأنه يجعلنا نتألم، نتألم بشدة، ونبكي، ولا نستطيع الصراخ .

فلطالما أن الزمن هو الحاكم، فبحق الله فليتقدم، أو فليعد للخلف، كان حبه هو الفخ الذي كلما تعمقت في السقوط فيه سعدت، فقسما لم يزد البعد إلا عشقًا، فلعل بعد كل هذا الفراق تكون السعادة هي البداية والنهاية .

الإضاءة مُنخفضة، ستائر مُغلقة، الكثير من المكتبات والكتب .

"شهد" تجلس في مكتبة الجامعة فـهي مَعروفة بشغفها للقراءة، المكتبة هي المكان الذي تذهب إليه لـتشاركه مشاعرها سواء الحزينة أو السعيدة؛ لذلك قررت أن يشاركها أيضًا ظلامَها الداخلي، ذلك المكان الذي تجد فيه أشياء مادية تحكي ما بداخلها، فالكتب تفهمها أكثر من البشر، تجد نفسها بين حروف صفحات الكتب، ظهر على وجهها الحزن منذ فترة، كـأن ضوءًا ما انطفأ بداخلها، فـبدأت تلبس الألوان الداكنة

على الرغم من حبها الشديد إلى الألوان الفاتحة، كانت ترتدي فستانًا كُحليًا طويلًا يصل إلى القدم، ذا أكمام طويلة من الحرير وخاليًا من تفاصيل البهجة، وتربط شعرها الأسود الذي يغطي نصف ظهرها إلى الخلف على هيئة "ذيل الحصان"، تجلس وحدها في المكتبة، وتقلب صفحات الكتاب دون اهتمام، تُحاول أن تُشغل عقلها حتى لا تتملك منها الذكريات، يزين صوت "فيروز" الهامس هذا الصمت، "لا أنت حبيبي ولا ربينا سوا، قصتنا الغريبة شلعها الهوا، وصرت عنك غريبة، انساني يا حبيبي"، ثم شعرت "شهد" بيد تلمس كتفها، نظرت إلى الشخص فوجدته "هشام"، ولكنه تغير عن آخر مرة رأته منذ ثلاثة أشهر، كان شاحب الوجه، شعره قد طال قليلًا ولِحيتهُ السمراء غير مُنمقة على غير العادة، يرتدي قميصًا أسود وبِنطالًا "چينز" كُحليًا، فملابسه تَدُل على حالته، أدارت وجههَا مرة أخرى إلى الكتاب كـأن شيئًا لم يحدث، ولم تلبث برهة حتى حملت كِتابها وهمت بـ الرحيل فقال: "شهد."

– لا تسألني كيف حالك؛ لأني سأضطر للإجابة بأني بخير، وأنا لست كذلك، أنا مريضة وتائهة، ليس مرضًا جسديًا فتُجيبني "تناولي العقاقير"، أنا مريضة من الداخل، قلبي مشوه، تترقرق دموعه بين دمائه، وتنبض عروقه صارخة تريد الحرية من بين أضلعي، وتيني يريد التمزق والهرب من هذا الضجيج، وأنا أيضًا أريد الهرب من هذا الضجيج .

– أيمكن أن نتحدث؟

لم يجد منها إجابة ومازالت في طريقها للخروج فوقف أمامها يمنعها من الرحيل .

– أرجوكِ اسمعيني ثم افعلي ما تر...

قاطعته في لهجة حادة وابتلعت تلك الحصوة التي تقف في حلقها وتشعرها بالرغبة في البكاء، ثم قالت بابتسامة كاذبة: فلترحل، لن أموت من فراقك، بل سأموت إن ظللت معي وقلبك معها، لن تعذبني

سعادتك معها، بل سيحترق قلبي من تعاستك معي، ارحل يا عزيزي، يكفيني رؤيتك من بعيد مع ابتسامة تحية .

- اسمعيني أولًا.

- لا كلام بيننا.

أبعدته بيدها وأكملت طريقها فـقال بصوت عالٍ: أنا لازِلتُ أُحبك وأعدك لن أُخطئ في حقك مرة أخرى، لقد أخطأت، أتنسين خمس سنوات بسبب خطأ؟! اعتبرينها نزوة أو خطأ أو أيًا كان المُسمى لكن لا يمكن نسيان ما بيننا بسهولة.

ثم أردف بألم: أنا لا أستطيع العيش، أنا مُنهك دونك وأحتاجك، أرجوكِ سامحيني.

أدارت ظهرها ونظرت إليه وامتلأت عيناها بالدموع وهي تقاوم لـ تمنعها من السقوط: أتقول هذا لي أنا؟! أنا مَنْ نسى الخمس سنوات بسهولة؟ أنا مَنْ مسحت ما بيننا بسهولة؟ أنا مَنْ قالت ارحل إن كُنت

تُريد؟ أنا مَنْ جعلتك تشعر أنكَ لا تعني شيئًا لي؟ أنا مَنْ فعلت كل هذا؟

حاول تهدئتها وقبل أن يتكلم بدأت بالبكاء وأردفت: جعلتني أشعر أني قليلة جدًا بالنسبة لك، جعلتني أشعر أني لا أعني شيئًا في حياتك، شعرت أني مجرد فتاة في حياتك كأي فتاة، جعلتني أندم على عمري الذي ضاع معك، شعرت أني بلا قيمة، قلت لك سأرحل حتى تشعر بإمكانية اختفائي من حياتك عندما تخونني، لكن ما كنت سأرحل حقًا، كنت أقول لك ذلك لـتترك تلك الفتاة وتعود لي وتكون لي وحدي، هل من يحب يجب أن يعاقب؟! أنا لم أفكر أبدًا في الرحيل مهما فعلت، كنت أقول إنكَ ابني والأم لا تترك ابنها مهما فعل بل تعلمه الصواب، الأم تعاقب ابنها، تهدده، تغضب منه، لكنها لا ترحل، كنت أعرف أنه مجرد خطأ ارتكبته وستعود لي عندما أهددك بالرحيل ولن تكرره، كنت أعلم أنكَ لست من هذا النوع من الرجال، كنت أنتظر فقط ردًا واحدًا، كنت أنتظر أن تقول: "لا ترحلي وأعدكِ لن أكررها"، أو أي شيء من هذا،

كنت أنتظر هذا منكَ ونعود كما كنا معًا، كنت أنتظر أن أعرف قيمتي لديك، كنت أحتاج فقط الشعور بتمسُكك بي، لكنكَ هدمت كل هذا، أنتَ تركتني أرحل من أجل فتاة أخرى، أنتَ من هدم الخمس سنوات لست أنا، جعلتني أشعر أني قليلة وتافهة ومغفلة .

حاول الاقتراب منها ليمسح دموعها لكنها كل مرة كانت تدفعه بقوة وتستكمل البكاء بشدة: أنا لا أريدك في حياتي، أرجوك اتركني أرحل هذه المرة إلى الأبد .

- أتعلمين عندما تركتها قبل أن آتي إليك سألتني: "لمَ هي؟"، فأجبت: "لأنها الوحيدة التي أذهب إليها محملًا بـالألم ككهل وأعود كطفل لا يعلم الحزن طريقًا له، لأنها تنصحني كأم وتسمعني كصديقة، وتحتويني كحبيبة، لأنها ليست "هي" بل "أنا"، أرى "أنا" فيها .

لقد كانت وحيدة، ولكنها سعيدة، راضية عن حد كبير من حياتها، أما بعد، فسرقها من بين الجميع، فعرفت أنها لم تكن سعيدة يومًا إلا

بظهوره، فحتى في أسوأ الخلافات بينهما لم تكن سعيدة إلا معه، دهر من الخلافات بينهما أفضل من الهدوء دونه، فاعتادت على السهر معه، والنوم على أنفاسه، ثم تذوقت مرارة الفراق، فأصبحت لا تلتقي بالنوم في انتظار أنفاسه، هذا الألم الذي يجتاحها ذنب من؟ ذنبه لأنه اقتحم حياتها؟ أم ذنبها لأنها ارتكبت الحب؟ فبحق الله رد إليها الروح، فكل شيء قابل للزوال، إلا الحب، والألم .

أكملت طريقها وظل يهتف باسمها لكي تسمعه مرة أخرى فقط، ثم فجأة قطع طريقها، وهذه المرة جذبها بقوة من ذراعيها وضمها إليه فاستسلمت دون مقاومة، وزادت حدة بكائها كـأنها تعاتبه وبدأ هو في البكاء أيضًا كـأنه يحاول علاج جرحها بدموعه، أدرك وقتها أنه كان يجب عليه القيام بذلك منذ بداية اللقاء، بدأت "شهد" في الهدوء والسكون بين ذراعيه، وضعت يدها على قلبه كـأنها تحاول التأكد من وجودها بالداخل، تحاول أن تتأكد أنها لازالت صاحبة هذا القلب ولا يشاركها أحد فيه، ثم لفت ذراعيها حوله ولمست ظهره ووضعت رأسها

على صدره في سكون، فـابتسم "هشام" وسط دموعه وفهم ردها على ما حدث، وابتسمت "شهد" عندما سمعت نبضات قلبه السريعة وتأكدت أنها لم تغادر مكانها في قلبه .

راح أبقى يا حبيبي

على إحدى طاولات مطعم بمصر الجديدة كانا يجلسان معًا والصمت ثالثهما، ترتدي فستانها الأسود الخالي من تفاصيل البهجة، طويل الأكمام، تربط شعرها الطويل البني الذي يصل إلى خصرها إلى الخلف، عيناها البنيتان ذابلتان تدور حولهما الهالات السوداء، شفتاها الباهتتان المتشققتان اقتربت إلى الاسمرار، يجلس على المقعد المقابل لها صاحب الشعر العسلي الناعم والعينين الرماديتين، يبدو أنه حلق لحيته منذ فترة ليست طويلة، يرتدي قميصه الرمادي في أغمق درجاته وبنطاله الأسود، اتصل بها منذ ساعتين طلب منها أن يتحدثا معًا، رأت في عينيه وملامحه ما يريد قوله، كانت لغة جسده تفضحه، وهي بارعة في قراءتها، قطرات العرق على جبينه، هزة قدمه وطرقات أصابعه اللاشعورية على الطاولة، نصف ابتسامة باهته لا يُتقن تمثيلها، تحريكه "للدبلة" التي في يده اليمنى باستمرار، تحاشيه أن ينظر لعينيها وكان يستفزه أكثر يقينه أنها تقرأ كل هذا، سأل "هاني" بابتسامة مصطنعة: ماذا أطلب لكِ؟

- شكرًا لا أريد شيئًا، لماذا طلبت أن آتي إلى هنا؟

صمت ثوانٍ ثم مال بجسده إلى الطاولة، نظر إليها لحظة ثم إلى الطاولة محاولًا أن يتحاشى نظراتها: "شهد" لن أستطيع الاستمرار في هذه العلاقة .

كان صمتها هو ردها عليه، فأردف دفاعًا عن نفسه: أنا لا أريد أن أظلمك معي، أنتِ تحتاجين فترة أطول للتخلص من الحزن الذي سكن داخلك منذ وفاة أبيكِ، وأنا يجب أن أسافر، كان يجب أن نسافر معًا ولكن الآن سأسافر وحدي، لا تظني أن هذا سهل عليّ بل صعب ولكن هذا عملي ومستقبلي .

لم تُجبه مرة أخرى فأردف: يا "شهد".. أنتِ أصبحت باهتة، منذ خمسة أشهر وأنتِ على هذه الحال، لا أستطيع إسعادك، لا أستطيع إخراجك من هذا الكهف الذي تعيشين فيه، عندما نخرج سويًا تظلين في عالم آخر، أصبحتِ أقل اهتمامًا بنفسك، أنتِ حتى ترتدين هذا الفستان نفسه منذ فترة طويلة، حاولت مرارًا أن أخرجك من هذه الحالة ولكن لا أستطيع.

ثم صمت معلنًا انتهائه فتح الجروح وأسند ظهره على المقعد، نظر إلى الفراغ، قامت "شهد" من على مقعدها، فنظر لها، ثم خلعت "دبلتها" من بين أصابعها كمسجون يخلع حبل المشنقة من حول رقبته، ورمتها على الطاولة أمامه بهدوء، ورحلت .

كانت تسخط على نفسها وعليه، ألهذه الدرجة كانت كئيبة؟! ألهذه الدرجة تملّك منها الحزن؟! هل حقا أصبحت باهتة؟! لم يكن فقد أبيها أمرًا سهلًا عليها، كان سندها الوحيد بعد فقد أمها منذ خمسة سنوات، حتى الآن تشعر به في بيتها، تراه يضحك وينادیها تسمع صوته وتشم رائحته، كانت تشعر بحزن ممزوج باللامبالاة، هل تجردت من المشاعر؟! على كل لن يكون فراقه أقوى من فراق أبيها، لا ألم أقوى من ألم فقد الأهل، من ذاق مرارة فقد الأهل سهل عليه فراق الآخرين، غير ذلك أنها لا تحبه كان زواج "صالونات"، زواج لمجرد الزواج فقط .

ظلت عيناه تتابعها حتى اختفت من أمامه، خرجت إلى حيث تركت سيارتها فوجدت من يسند ظهره على سيارتها، صاحب الشعر الأسود

المُجعد والعينين البنية، يرتدي بنطاله البني وقميصه الأبيض، إنه "هشام" صديقها المقرب فقال يتصنع الجدية: ما كل هذا التأخير؟ كدت أن أتفحم من الشمس .

– ماذا تفعل هنا؟!

– عندما اتصلتِ بي لتخبريني أنكِ لن تأتي إلى العمل اليوم فكرت ألا أذهب أنا أيضًا، ثم أكمل ساخرًا: سيكون العمل مملًا بدونك فلن أجد من يُزعجني .

– حسنًا أصبحت مصدر إزعاج الجميع، إن كنت مزعجة إلى هذا الحد فارحل، لن يلومك أحد.

صعدت سيارتها وظل "هشام" ينظر إليها في تعجب، يتساءل في نفسه: هل كان غليظًا في كلامه إلى هذه الدرجة؟، صعد إلى سيارتها بسرعة قبل أن ترحل .

– ماذا بكِ؟ لم كل هذا الغضب؟ كنت أمزح معكِ فقط .

- لا يا "هشام" إنها الحقيقة، أحيانًا نقول حقائق نشعر بها في شكل مزحة، لكنها في النهاية حقيقة .

- كيف تُصبحين مصدر إزعاج لي وأنا لا أطيق العمل بدونك؟!

- لكني أصبحت مصدر لإزعاج أحدهم .

نظر إليها بتساؤل فقامت برفع يدها لتريه عدم وجود "الدبلة"، كاد أن يبتسم لكنه أخفى ابتسامته حتى لا يجرحها، حاول تغيير الموضوع فنظر إليها وهو يغمز بإحدى عينيه: وما هذا الفستان الجميل؟

- أنا أرتديه منذ فترة .

- حقا؟! يبدو لي أنه جديد .

ثم أردف: أم أنتِ التي تجعلين كل شيء جديد وتضيفي إليه جمالًا؟

احمرّت وجنتاها فلم تعهد طريقته هذه، فأردف معلقًا على صمتها بطريقه مازحة: أرى أن سحري بدأ يعمل .

ضربته بقبضتها الصغيرة في صدره وهي تنظر إليه: كف عن هذا .

ضحك وقال: هيا لنرَ إلى أين ستقودنا السيارة .

- لا أريد الذهاب إلى مكان اليوم .

- ولكن أريد أن أتوه في أماكن عديدة معكِ؟

ظلت عيناهما متعلقة ببعضهما للحظات، ثم قادت السيارة دون أن تتفوه ببنت كلمة، ولا تعلم إلى أين، لا تعلم أنها تقودهما إلى مشارف الحب .

قام "هشام" بفتح "راديو" السيارة ليزين هذا الصمت بالموسيقى فعلى صوت "فيروز": راح أبقى يا حبيبي معك، لو دبل الورد وما عاد في قمر، وخلصت القصص وأغاني السهر .

فنظر "هشام" إليها بحنان وردد مع "فيروز" بصوته الغليظ: معك يا حبيبي راح أبقى علطول، بالصيف وبالشتا وبشمس الحقول، بالليل الغريب عالسفر المجهول .

ضحكت رغمًا عنها من بشاعة صوته، فصمت وظل يتأملها ثم همس في أذنها: اشتقت إلى هذه الضحكة منذ فترة .

فأوقفت السيارة فجأة ونظرت إليه بغضب وقالت بعصبية: "هشام" ماذا بك؟ ما هذا الذي تفعله؟ لم أعهد هذه الطريقة منك وبدأت تثير...

ثم صمتت برهة لتختار الكلمة المناسبة وتتعجب من نفسها هل يثير "غضبها" أم "قلبها"؟!

ثم أردفت: بدأت تثير غضبي.

صمت "هشام" برهة لا يعرف ماذا يقول أو يبرر ما يفعله، ثم رد بصوت هادئ وهو ينظر إلى عينيها مباشرة: أنا أحبك يا "شهد."

تعجبت مما قاله وقالت: هذه مزحة أخرى، أليس كذلك؟

- هذه أول مرة لا أمزح فيها، حبي لكِ هو الحقيقة الوحيدة في حياتي، صداقتنا مزحة حتى لا تفارقيني، عملي مزحة حتى أراكِ وأتأملك دون أن تلاحظي، حتى مزاحي مزحة فقط لأرى ابتسامتك لي لكي أسمع صوت ضحكتك التي تذبذب قلبي.

ظلت تنظر إليه في عدم تصديق ثم تركته ونزلت من السيارة وبدأت تسير بعصبية إلى حيث تأخذها خطاها، نزل "هشام" وراءها وبدأ ينادي

عليها ثم سحبها من ذراعها لتقف أمامه وهو يحدث عينيها: هل أخبرتكِ أن قلبي يتراقص عندما أراكِ؟ هل أخبرتك أن عندما أخبرتيني بانفصالك عن خطيبك أعدتي إليّ حياتي ولا أستطيع السيطرة على سعادتي؟ هل أخبرتكِ أني أكره "هاني" هذا لأنه سلب مني حقي في حبيبة عمري ورفيقة طفولتي؟ هل أخبرتك أني أراكِ في مستقبلي أمًا لأولادي لستِ صديقة فقط؟ هل أخبرتكِ أني منذ سنوات المراهقة لا أرى أنثى غيرك؟ هل أخبرتك أني عندما رأيتكِ تبكين في عزاء والدك أردت أن أضمك إليّ وأسرق هذا الحزن والألم من قلبكِ؟ هل أخبرتك يومًا أني سقطت في غرام صوتك ومخارج حروفك؟ هل أخبرتك أني سجين لمعة عينيك ونظراتك؟ هل أخبرتك أني أسير خجلك البرئ وجرأتك المجنونة؟ هل أخبرتك أني عشقت اسمي بعد أول مرة سمعته منك؟ هل أخبرتك أني كلما رأيت ضحكتك الجميلة ارتويت؟ هل أخبرتك أن لحظاتي توقفت عن تلك اللحظة التي رأيت فيها مكان دبلتك فارغ؟ فأنا منذ لحظتها وقلبي تائه .

لم يجد منها إجابة وظلت عيناها متشبثة به في ذهول.

- لم أخبرك بكل هذا لأني كنت أخشى أن يحدث ما حدث الآن، كنت أخشى خسارتك، كنت أفضّل أن أكون معكِ كصديق بدلًا من رحيلك عني إلى الأبد، إن كان حبي لكِ يزعجك سأرحل عنكِ ولن أزعجكِ مرة أخرى، وحاولي أن تنسي ما قلته .

لم ترد عليه مرة أخرى، فقال: لديّ اعتقاد يُدعى "ارتباط الأرواح"، قد ندخل في علاقة أو اثنان أو أكثر، ولكن ثمة شخص واحد تشعرين أن روحك مرتبطة به، مهما ابتعد يجذبك إليه، تشعرين أنه يرسل إليك رسائل عبر العقل والمشاعر، لا تستطيعين إثبات ذلك ماديًا، ولكن تشعرين به، لا أقول إني لا أستطيع العيش بدونك، بل أستطيع أن أقضي حياة طبيعية، أسافر وأنجح وأحقق أهدافي وأكوّن علاقات ناجحة، حقا أنا أرى نفسي شخص سعيد، لكن لا أستطيع التوقف عن التفكير بكِ، أصبح التفكير بكِ كالتنفس تمامًا، أقوم به تلقائيًا دون أن أشعر بذلك حتى، أنتبه فقط بين الحين والآخر أن ما يستحوذ على عقلي هو أنتِ،

ولكني أقوم به باستمرار، أرى ردود أفعالك، ابتسامتك، غضبك، نصيحتك، فرحك، رأيك في أي شيء أقوم به، نقدك اللاذع، هذا الارتباط مؤلم، مؤلم لأني لا أستطيع أن أكون معك، ولا أستطيع التوقف، أشعر أني معلق في الوسط، لا أحتاج لربط روحنا، أنا أحتاج إليك كاملة، أشعر أن قلبي ينزفك .

لم ترد أيضًا، فترك ذراعها وأدار ظهره وقبل أن يبتعد أمسكت بإحدى يديه .

تشبث "هشام" مكانه مما فعلت فنظر إليها في حنان، كانت عيناها تتشبث بالأرض حتى أمسك بذقنها ورفع رأسها بحنان لتنظر إليه وعيناه تتساءل، فقالت بصوت منخفض يسمعه بصعوبة: لا ترحل .

أمسك وجهها بيديه وقال بصوت تملأه الفرحة: لن أرحل، لن أرحل مهما حدث .

ظل يتأملها ثوان ثم قال بنبرة مازحة: إذن وكانت معكِ الكاميرا الخفية، ماذا تفضلي أن تقولي؟

ضحكت فقال: ألم أقل لكِ أن سحري بدأ يعمل .

ضحكت مرة أخرى وهي تضربه بقبضتها الصغيرة في صدره.

فقال بحنان: أحبك .

لم ترد عليه ونظرت إلى الأرض في خجل، فقال: لن تردي عليّ؟ إذن سأغني، أنت من فعلت هذا بنفسك .

فضحكت مرة أخرى وأكمل هو ويتأملها: معك يا حبيبي بدي أبقى سنين، حتى لو بعدنا وصرنا منسيين، عصباح الأيام بسفر الأحلام .

ظلت تسمعه وتضحك وهو يغني حتى قاطعته: أحبك .

صباح ومسا

تغريد العصافير يملأ المكان، مع تسلل شعاع الشمس إلى سريرها يداعب عينيها البُنيتين، شعرها الغجري الأسود، القصير، المجعد يشاركها وساداتها، حاولت دفع آشعة الشمس بيديها بعيدًا عنها، ولكن باءت محاولتها بالفشل، فتحت عيناها ببطئ ونظرت إلى نافذتها ونفخت في الهواء بضجر، ثم علت رنة هاتفها بأغنيتها المفضلة

"صباح ومسا شي ما بينتسا، تركت الحب وأخدت الأسى"

نظرت إلى الهاتف بغضب فوجدت اسم "هشام" صديقها المقرب وابن جيرانها، فردت بصوتها الممتزج ببقايا النعاس: ماذا؟

- هل لازلتِ نائمة؟

- هل لديك مانع؟

- أريد التحدث معكِ .

- أتعلم يا "هشام"؟ أحيانا أتمنى لو لديك صديقة أخرى لترحمني من قصصك اللامتناهية، ما هو الأمر الضروري الذي تريد التحدث عنه في التاسعة صباحا؟ !

ضحك من أسلوبها: أريد التحدث بخصوص "هند ."

- يا له من أمر ضروري حقًا، إنها قضية حياة أو موت، حسنًا يا مولاي، جاريتك "شهد" ستكون أمامك بعد ساعة، إذا لا يزعجك بالطبع هذا التأخر .

ضحك من سخريتها: لا عليكِ يا جارية مولاك ينتظرك -كعادتنا- على سطح العمارة .

نتعته بضحك: أحمق.

ثم أغلقت ورمت الهاتف على سريرها بجانبها، فاعتدلت جالسة ومسحت وجهها بيدها كأنها تحاول مسح النعاس من عينيها، وصففت شعرها بأصابعها، وقامت لتستحم، ثم أردت بنطالًا "چينز" أسود

وقميصًا ذا أكمام طويلة أسود، صففت شعرها وتركتهُ حُر، فتحت الـ "LAPTOP"الخاص بها وفتحت أغنيتها المفضلة

"شو بدي دور، لشو عم بدور على غيره، في ناس كتير لكن بيصير ما في غيره"

وقفت أمام نافذتها وهي تحتسي الـ "NESCAFE"وتشاهد العصافير وهي تتراقص في الهواء بحرية حول الأزهار المختلفة ألوانها، جاء صوت عقلها.. أو قلبها.. في الحقيقة هي لا تعلم من المتحدث الآن، فقد خيم الصراع بينهما حتى أنها أصبحت عاجزة عن التمييز بين صوتيهما، جاء ذلك الصوت إلى حد أنه غطى على الأغنية، بدأ يتساءل لِمَ حُبها ليس بهذه الحرية -حرية العصافير- إلى متى سيظل حُبها سجين قلبها؟!، إلى متى سيظل قلبها سلاحًا مصوبًا تجاهها؟!، إلى متى سيظل قلبها يعتريه الصمت؟!، إلى متى سيظل "في ناس كتير لكن بيصير ما في غيره"؟!، ثم علت رنة هاتفها تعلن انتهاء صراعها الداخلي فردت: حسنًا سأصعد إليك .

- في انتظارك يا جارية.

- غبي .

صعدت إلى سطح المنزل فوجدت "هشام" يجلس على طرف السطح ورجله تدلى في الهواء - كجلستهم المعتادة - يرتدي بنطالًا "چينز" رمادي فاتح وقميصًا أبيض و"چاكيت" رمادي في أغمق درجادته، عيناه عسليتان وشعره عسلي ناعم ولامع، يعلو صوت أغنيتها المفضلة من هاتفه، ويدون بعض الأعمال في ملفه ثم جلست بجانبه، وترك ملفه بجانبه، فقالت: أراك أحببت الأغنية!

- هي ليست مسألة حُب فقط، هي تعود أيضًا، غرفتك تعلو بها دائمًا.

- حسنًا، ما الذي حدث مع "هند"؟

- تريد أن نعود معًا .

- جيد.. هذا ما كنت تريده .

- لكني خائف.

نظرت له بعدم فهم، فأوضح هو: أنا حقًا لازلت أُحبها، ولكن أخشى أن تكسر قلبي مرة أخرى، هي تركتني لتعقد خطبتها على ابن صديق والدها؛ لأنه كان سيسافر بها إلى ألمانيا، وعندما خسر أمواله في صفقته الجديدة تركته وجاءت إليّ، خائف أن يكون حبها لي مزيفًا .

ثم صمت برهة ونظر إلى الفراغ: أتعلمين يا "شهد" أحيانًا أشعر أني لا أعلم إن كنت أحبها أم لا!

– هذا فقط لأن قلبك غاضب منها .

نظر لها بإصرار: لا.. صدقيني، كثيرًا ما أشعر أنها ليست هي الفتاة التي أحبها، أنا فقط جسدت فيها ما أتمناه في حبيبتي، في البداية كنت أشعر بالانجذاب نحوها، أتخيلها معي وأنا وحدي لا أقصد شكلها بل أقصد أفعالها وردود أفعالها، أتخيل ما أريده ليس ما هي عليه فعلًا، أنا أحببت فقط هذا الخيال الذي رسمته لها، والدليل على هذا أن في أغلب الأوقات عندما أكون معها أشعر بالرغبة المُلّحة في الهرب منها، كنت أُأجل مواعيد مقابلاتنا وأتحجج بأن لدي عمل .

صمت برهة ثم نفخ بشدة ونظر للأرض: لكن أعترف أني أشتاق إليها وأخشى أن تضيع مني، لا أعلم ما هذا، هذا ليس حُبًا.. أليس كذلك؟ !

رفعت كتفيها بأنها لا تعلم ثم خبطت على كتفه برفق: هون عليك .

– لذلك حتى أتخلص من هذا القلق والخوف قررت أن نتزوج فورًا، حتى لا تفكر في أن تكسر قلبي مرة أخرى وحتى أنتهي من هذه الحيرة.

– لكنه هروب، كيف تتزوج وأنت غير متأكد من مشاعرك تجاهها؟!

– يكفي اشتياقي إليها وعدم قدرتي على تخيلها مع غيري.

– كما تحب .

اعتدل في جلسته وابتسم لها ثم خلع "الچاكيت" ووضعه جانبًا: لا تهتمي، ثم أخبريني ما أخبار عزيزك المجهول؟

– لا جديد.

– أتمنى أن أراه .

– حقًا؟!

- نعم، أريد أن أرى ذلك الأحمق الذي جنن قلب صديقتي العزيزة.

- حسنًا، سأحاول أن أجعلك تراه الليلة .

- هل هو وسيم؟

- أي شخص في العالم سيكون وسيمًا أكثر منك .

ضحك: حقًا؟!

- حقًا.

فأردفت: أعتقد أنه عليّ أن أبتعد لأنساه .

- فعلًا، ابتعادك سيكون أفضل.

- حقًا؟!

- نعم يجب أن تنسيه، أرى أن حبك هذا سيظل من طرف واحد، هو لا يشعر بكِ وإن كان سيحبك لفعل منذ زمن.

- لذلك قررت أن أواجهه، وإن لم يكن خيرًا سأسافر.

رد بصدمة علت وجهه: تسافرين؟ !

- نعم.. أريد أن أرتاح.

- وأنا؟!

- وأنت ماذا؟!

- مع مَنْ ولمَنْ سأحكي ومَنْ سأزعج؟

ضحكت: وها أول فائدة من سفري، اعترفت أنكَ مُزعج .

- أنا لا أمزح، لم أعتد غيابك ولا أريد أن أجربه .

- ولكني أحتاج أن أذهب بعيدًا، هذا سيجعلني أفضل.

- لا أريد أن أمنعك من الراحة، ولكن رحيلك سيؤلمني كثيرًا.

قالت مازحة: ماذا؟ هل ستشتاق إليّ؟

- كثيرًا.

فهمست في أذنه: عندما تشتاق إليّ حدثني كأنك تراني واسمع أغنيتي المفضلة .

- أتمنى أن تعودي لي بسرعة .

- أعتقد أن الأمر سيطول .

نظر لها بتمعُن ورجاء: هل يمكنني أن آتي معكِ؟

فردت بضحكة صغيرة: قُلت أريد أن أرتاح، كيف ستجتمع أنت والراحة معًا؟!

ابتسم نصف ابتسامة: كوني حذرة على نفسك .

هزت رأسها بالموافقة .

- هل حددتِ الموعد؟

- عندما يحين الموعد ستعلم .

ثم قام من مكانه: مضطر لأتركك الآن فحان موعد العمل وسأقابلك في الليل .

- لا أعتقد .

- لِمَ؟

- أمزحُ معك .

- إلى اللقاء.

- الوداع.

ابتعد بضع خطوات فنادت: أحبك يا "هشام ."

فضحك: وأنا أيضًا .

- لا، ليست أحبك التي اعتدت عليها مني، أنا أحبك حقًا، ليس كأصدقاء .

عاد إليها ونظر بعد فهم: ماذا؟ !

- أحبك .

صرخ فيها: نعم أنا أسمع جيدًا، ولكن ما هذا الهراء؟ !

- ليس هراءً، إنها الحقيقة، أنت هو .

- هذا كذب، لا يمكنك فعل هذا، نحن أصدقاء .

- حاولت ألا أفعل، ولكنه حدث، كنت دائمًا مستقيمًا في هذا القلب .

ابتعد بضع خطوات: أنا أحب "هند" وسأتزوج بها، هل فهمتِ هذا؟ ولا أريد أن أراكِ ثانيَّة .

- سيظل حبي لك هو ذنبي الأكبر .

تركها ورحل دون أن ينطق ببنت كلمة، ظلت تتبعه بعينيها حتى اختفى، نظرت إلى الفراغ طويلًا، ثم نظرت إلى هاتف "هشام" الذي نساه فأعادت تشغيل أغنيتها وأعلت صوتها أعلى درجة، ثم نظرت إلى ملفه الذي نساه أيضًا، فسحبت منه ورقة وأخذت القلم، ثم بدأت تخط، ووضعت الورقة في جيب الـ"چاكيت" الخاص به وارتدته وضمته إليها بشدة، وابتسمت كأنها لم تبتسم من قبل، وقفت تنظر للأشجار تحت عمارتهم، وفتحت ذراعيها تتلقى الهواء وشعرها يتطاير، والأغنية يعلو صوتها في المكان، ثم أعطت الهواء ظهرها وألقت نفسها من فوق السطح وهي تزداد في الابتسام وعيناها تذرف الدموع، بدأت تتأمل السماء، وترى صورًا ومشاهد أمامها، رأت يوم أن فاجأت "هشام" يوم عيد ميلاده بحفلة في بيته والزينة تملأ غرفته وأحضرت إليه تذكرة لباريس

مثلما كان يحلم، ثم حملها وضمها بشدة إليه وبدأ يدوخ بها في الغرفة، ورأته يوم تخرّج في الجامعة وفضّل أن يحتفل بهذا اليوم معها وسافر بها إلى الإسكندرية خلسة، رأته عندما أتى لها بـكلبها في عيد ميلادها العاشر، عندما أخبرها أنه كان لا يشتري شيئًا بمصروفه ليأتي بثمنه، وبدأ شعرها يتراقص مثل العصافير ثم سمعت صوته يأتي من داخلها بكلماته الأخيرة: أريد أن أرى ذلك الأحمق الذي جنن قلب صديقتي العزيزة.

- يجب أن تنسيه، أرى أن حبك هذا سيظل من طرف واحد، هو لا يشعر بكِ وإن كان سيحبك لفعل منذ زمن.

- لا أريد أن أمنعكِ من الراحة ولكن رحيلك سيؤلمني كثيرًا.

- أنا أحب "هند" وسأتزوج بها هل فهمتِ هذا؟ ولا أريد أن أراكِ ثانيةً.

ثم جاء صوت ارتطام جسدها بالأرض مع كلمات فيروز "لعل وعسى، أترك هالأسى"، التف المشاه حولها، فسمع "هشام" الذي عاد

منذ دقائق عندما وجد أحد الملفات ينقصه صوت الضجيج في الشارع، فخرج ليرى ماذا يحدث، فوجد جسد "شهد" على الأرض وتغمره الدماء، فصرخ ينادي باسمها وجلس بجانبها والدموع تملأ وجهه: "شهد" أفيقي، ماذا حدث، هل تسمعيني؟، أنا "هشام"، أنا هنا، أفيقي.

صرخ بشدة في الناس ليطلب أحد الإسعاف بسرعة فقال أحدهم: توقف نبضها .

صرخ فيه وعينيه قد احمرت من البكاء: اصمت.

ضمها إليه بشدة وأخذ يصرخ فيها: "شهد" استيقظي، أنا بجانبك، لا تتركيني، أنا لا أطيق ابتعادك عني هيا أفيقي .

بعد أسبوع

كان يجلس بجوار قبرها والهالات السوداء تغطي عينيه ومال وجهه إلى الاسمرار وقد خسر من وزنه كثيرًا، شعره عشوائي ويرتدي الچاكيت ذاته.

- اشتقت إليكِ يا حلوتي الصغيرة، لا أستطيع النوم دون أن يكون صوتك آخر ما أسمعه، لم أذق النوم منذ أيام، أشعر أني طفل يتيم بل أصعب، كأن أحدهم سرق مني نفسي، أنا حتى أرتدي هذا الچاكيت، منذ أن رحلتي، أحب رائحتك فيه .

ثم ضم الـچاكيت بذراعيه فسمع صوت تطبيق ورق فتحسس جيبه فوجد الورقة التي كتبتها "شهد"، فتعجب ثم فتحها وقرأها بأعين دامعة فهو يحفظ هذا الخط عن ظهر قلب .

- "عزيزي "هشام.."

قرأت ذات مرة أن الصداقة بين الشاب والفتاة إذا استمرت طويلًا فغالبًا هناك طرف يحب الآخر، فكنت أنا ذلك الطرف الغبيّ الساذج الذي أحب، أحببتك للحد الذي جعلني أحدثك وأنت غير موجود، كنت أُخبر طيفك بكل ما يحمل قلبي، كنت أحاول إقناع قلبي أن يكون قنوعًا، كنت أخبر نفسي دائمًا ماذا أريد أكثر من كوني صديقتك المقربة؟!

أنا أعلم عنك ما لا يعلمه أهلك وأصدقاؤك، كنت أنا الوحيدة التي تستطيع فهمك من عينك دون أن تتحدث، كان اسمي مرتبطًا بأاسمك دائمًا، لكنِ كنت أريد.. أريد أن أكون حبيبتك لا صديقتك، أريد أن يتبع اسمي اسمك كحبيبين ثم زوجين، كنت أحلم بحياة معك لا صداقة أو مجرد ارتباط ، أتذكر ذلك اليوم الذي أخبرتني فيه عن حبك "لهند"؟ لا أعلم منذ ذلك اليوم ماذا حدث لي؟! كأن العالم من حولي توقف، لا أشعر بأي شيء، أُقسم أني أصبحتُ كـالحجر، لا أُحب، لا أكره، لا أغضب، لا أبتسم، ماذا حل بي؟، لا تغرِك تلك الفتاة المرحة التي لا تُبالي بالعالم وتذهب هنا وهناك وتركض وترقص وتضحك، في داخلي وحش حزين ينخر في روحي، هل تصدق؟ أنا أصبحتُ لا أبكي على مشاهد الفيلم الحزينة، ولا أضحك عند مشاهدة الأفلام المرحة، في روحي امرأة عجوز وقعت جميع أسنانها وتجعدت ملامح الفتاة اليافعة، أصبح اللون الأسود لوني المفضل ولم أعد أُزين أشيائي باللون الوردي، مشاعري أصبحت باردة، أنا لا أسعد عند استقبال الهدايا، ولا أصرخ

فرحة في المفاجآت، أنا حتى لا أستطيع البكاء، كـأني أبكم يريد الصراخ وصوته محجوب بين أحباله الصوتية، اعذرني، لا أستطيع أن أراك تتزوج وتلبس البذلة مع فتاة أخرى، لن أتحمل أن أراك وأنت تضمها إليك وترقص معها على نغمات الموسيقى الهادئة، ألم أعدك بمقابلة حبيبي؟! يمكنك أن تراه في المرآة، اعتني بنفسك .

صديقتك المقربة "شهد ."

أغلق الورقة وأسند ذراعيه، وجسده كله على القبر كأنه يحاول إخراجها وضمها، أجهش بالبكاء وتذكر آخر ما سمعه منها: أريد أن أرتاح.

- عندما تشتاق إليّ حدثني كأنك تراني واسمع أغنيتي المفضلة .

- أعتقد أن الأمر سيطول .

ثم همس لها: هذا ما أحاول أن أفعله لكي أرتاح، سأظل معك دائمًا وسأحدثك كأنك معي، بل حقًا ستكونين معي .

ثم شعر بيد تلمس كتفه من الخلف، فنظر لَمَنْ يقف خلفة فرأى صاحبة الشعر المسترسل والعيون العسلية ترتدي فستانها الأسود من الحرير ذات أكمام طويلة: البقاء لله.

- ونعم بالله، أشكرك.

- بالتأكيد أنت تحتاجني معك، لا تقلق لن أتركك .

- تقصدين يا "هند" أحتاجُها .

- وجودك هنا سيُسيء إلى حالتك النفسية.

- بل رحيلي سيفعل .

قالت والغيرة كالشرارة في عينها: هل كانت مهمة لهذه الدرجة؟

- وما زالت، لن أترك هذا المكان، سآتي بأغراضي إلى هنا وسأعيش بجوارها مع حارس المقابر.

ثم تركها ودخل إلى غرفة حارس المقابر، ظلت واقفة أمام قبرها ترمقها بحقد: كنت أكرهك وأنت على قيد الحياة وحتى عندما رحلتي

مازلت تُزعجيني، أنا حبيبته كيف يتركني لأجل صديقة؟!، لأجلك أنت؟!، كيف تنتصر الصداقة على الحب؟!، هذا مثير للشفقة .

هكذا النساء يغرن على من أحببن حتى وإن كان من الراحلين .

في الليل نفذ "هشام" ما وعد به ليعيش معها وكان كل يوم دون انقطاع يجلس ليتحدث معها بالساعات ولم يؤمن يومًا بالفراق .

شط إسكندرية

"هل تذكرين أول مرة تقابلنا؟ تلك الغصة الرقيقة التي لامست القلب، نسمة الهواء التي دمجت نبضاتنا، نغمات الموسيقى المفضلة التي نطقت من بعيد، النظرات الخاطفة المتحدثة، أين هاجر كل هذا؟ كأنه ضي حلم لم يكتمل!

لا.. ليس حلمًا، إنه كابوس، كابوس بدأ بداية جذابة، بداية سعيدة خادعة، مجرد أن تبتسم يبدأ الألم والخوف، لقد بدأ الكابوس ولم ينته حتى الآن .

متى ستنزل رحمة الله لتنهيه؟"!

كان "هشام" يحدث طيفها بآلامه وهو يجلس على "كورنيش الإسكندرية"، يظهر عليه الإرهاق، الهالات السوداء تكاد تُخفي عينيه، شعره عسلي اللون غير مرتب، وعيناه العسليتان الذابلتان معلقة بصورتها على البحر، يرتدي قميصًا كحليًا وفوقه "بلوفر" صوف أسود

وبنطالًا كحليًا، أمسك بعلبة سجائره ببطء وأخرج سيجارة من العلبة وكاد أن يشعلها، حتى ظهرت أمامه فتاة لا يعرف من أين ظهرت، تعجب من نفسه، ألهذه الدرجة فقد تركيزه وإحساسه بالأشياء؟!، كانت فتاة طويلة ذات شعر أسود قصير يصل إلى أكتافها ومبلل، ترتدي "بورنس البحر" من الصوف باللون الوردي ذا أكمام طويلة، قصيرًا يصل إلى ركبتيها، ساقان مبتلتان ويظهر على قدميها بعض الرمال، يبدو أنها لم تلبث دقائق خارج البحر.

- هل يمكنني أخذ سيجارة؟

تعجب "هشام" من جرأتها لبرهة ثم قال: تفضلي .

قدم إليها العلبة فسحبت منها واحدة ثم شرعت أن تذهب وعاد "هشام" ينظر إلى البحر ويشعل سيجارته، التفّت إليه مرة أخرى: كم الساعة؟

- السادسة والنصف.

أدارت ظهرها لترحل ثم وقفت لبرهة والتفّت إليه مرة أخرى: هل يمكنني الجلوس؟

نظر إليها "هشام" بتعجب: تفضلي.

جلست بسرعة كأنها حققت هدفًا ما ومازال "هشام" يتعجب من تصرفاتها .

- من أنت؟

- ماذا؟!

مالت الفتاة إلى الأمام كأنها تريد أن تقص عليه سرًا: أنا آتي إلى البحر كل يوم ثم أجلس على "الكورنيش"، هذا روتيني اليومي وأراك منذ أسبوع تأتي إلى هنا كل يوم، تجلس وحيدًا، عيناك لا تفارق البحر، تدخن السجائر بشراهة، كأنك تنتظر أن يخرج من البحر معجزة أو تشكي له شيئًا ما، لا يبدو أنك من أهل الإسكندرية.. هل أنت من القاهرة؟

- نعم.

أدركت أنه لا يريد التحدث في شيء يخصه، فأردفت: أنا "شهد"، ما اسمك؟

- "هشام."

ضحكت "شهد" بصوت عالٍ كأنها سمعت مزحة فنظر "هشام" إليها في ذهول ونظر حوله حتى يتأكد أن لا أحد ينظر إليهم فقالت هي: كأنك صغير يتكلم الكلام، تتفوه بكلمات قليلة وأنا أثرثر .

لم يبد "هشام" ردة فعل فزفرت "شهد": لم أقصد العبث بحزنك، ولكن فقط كنت أحاول المساعدة، ولكن يتضح أن لا فائدة وأنا لا أستطيع التعامل مع الأشخاص الكئيبة.

قامت من مكانها وأردفت وهي تسحب فمها بصباعيها السبابة والإبهام تجاه خدودها في حركة الابتسام: فرصة سعيدة يا "هشام."

رحلت وظل "هشام" يتبعها بعينيه في ذهول حتى اختفت، وتساءل في نفسه: ما بها؟! هل أنا من أجبرتها على الجلوس مع شخص كئيب؟ أمجنونة هي؟!

ثم عاود النظر إلى البحر حتى ظهرت مرة أخرى من بعيد تتجه نحوه في خطوات بطيئة، تحاول أن تتجاهل النظر إليه، وتعلقت عينا "هشام"

بها حتى وقفت أمامه وأطلقت زفيرًا في الهواء: أشعر بالذنب دائما نحو الآخرين .

ثم زفرت مرة أخرى: آسفة.. هل يمكنني الجلوس؟

هز "هشام" رأسه بالموافقة وجلست ونظر كلا منهما إلى البحر وساد الصمت دقائق بينهما حتى قال "هشام" ومازالت عيناه معلقة بالبحر كأنه يحادثه: كان لدي "مول" في القاهرة كنت أريده أن يصبح أشهر "مول" ولكن "هند" حبيبتي لم تكن تحب ذلك، وكانت تشجعني على السفر للعمل بالخارج، لكني لم أحب هذا، كنت أرى كل أحلامي في هذا "المول" وفي يوم وضعت كل أموالي في بضاعة جديدة، ولكن حدث خطأ ما وبسبب ماس كهربائي اشتعل الحريق واحترق "المول" بما فيه من بضاعة وأحلام .

صمت "هشام" لثوانٍ ليحاول تجاوز ما شعر به من ألم، ولم تتحدث "شهد"، أرادت أن يحكي كأنه يجلس وحده .

أردف "هشام": دخلت في موجة اكتئاب، وعندما علمت "هند" ازداد اكتئابي من ردة فعلها، أتعلمين ماذا قالت؟

ثم أردف بنبرة ألم ممزوجة بالسخرية: قالت هل أصبحت مفلسًا؟ وبدأت تعاتبني على رفضي للسفر، واختفت من حياتي، حاولت الوصول إليها عدة مرات لكنها كانت تتهرب، كنت أحتاجها، لم أكن بحاجة إلى علاج للاكتئاب، كنت أحتاجها فقط، أحتاج أن تأخذ بيدي وتساعدني للمرور من هذه الأزمة، رحلت في قمة ضعفي.

صمت ثوانٍ أخرى ثم نظر إلى "شهد": وبعدها علمت بخطبتها .

-" ماذا؟!"، قالتها "شهد" في صدمة .

- ثم وجدت نفسي في الطريق إلى هنا .

سقطت دمعة من عين "شهد": أنا آسفة، لم يكن عليّ الاستهزاء بمشاعرك .

ساد الصمت ثواني وكانت "شهد" تفكر في طريقة لإخراجه من هذا الحزن، لكن "هشام" قطع عليها تفكيرها: لكن لِمَ تهتمين بأمري؟

- إنه الفضول يا عزيزي، في البداية كان شكلك غريبًا عن المكان، أنا أعرف كل من يأتي إلى هنا، ثم لاحظت مع مرور الأيام حالتك الحزينة وبدأ الفضول يقتلني، حاولت كثيرًا التحدث معك لكن كنت أخجل، في الحقيقة أنا لا أدخن من الأساس لكنها كانت حجة لأتحدث معك.

لم يرد "هشام" واكتفى بهز رأسه بأنه فهم ما قالته، أرادت "شهد" التخفيف من حزنه فأكلمت بنبرة مازحة: أو أعتقد أيضًا لأنك وسيم .

ابتسم "هشام" ابتسامة صغيرة: حقًا!

- هل لديك شك في ذلك؟

- نعم.

لاحظت "شهد" أن ملامحه أصبحت أكثر راحة، فأرادت إطالة الحديث حتى يخرج مما فيه .

- حسنا صديقي الجديد مهزوز الثقة بالنفس.

- صديقك!

- نعم هل تمانع؟!

مال"هشام" تجاهها قليلًا: وهل يمانع أحد أن يكون له صديقة بهذا الجمال؟!

قالت وهي تصفف شعرها بغرور وبصيغة مضحكة: أعلم هذا جيدًا، لا أحد يستطيع مقاومة جمالي .

ابتسم "هشام" بشدة هذه المرة، فأرادت "شهد" أن تفعل شيئًا حتى لا يعود لحزنه.

- هل تحب السير على الشاطئ؟

- بالتأكيد.

- إذن فلنذهب، منظر الغروب سيكون جميلًا الآن.

ذهبا معًا للسير على الشاطئ فكان "هشام" يخطف نظرات إليها من حين إلى الآخر ثم جلسا على الرمال وجاء صوت "فيروز" من بعيد يغني: "شط إسكندرية يا شط الهوى، رحنا إسكندرية رمانا الهوى، يا دنيا هنية وليالي رضية أحملها بعنيا شط إسكندرية."

ابتسم "هشام" ونظر إليها بنظرة ذات معنى: هل تؤمنين برسائل الله إليكِ؟

- بالطبع لا .

عاد كلًا منهما ينظر إلى البحر فابتسمت "شهد" فلاحظ "هشام" ابتسامتها وعرف أنها تؤمن بما يؤمن، وتفكر فيما يفكر، ثم أكمل الغناء مع "فيروز": "البحر ورياحه والفلك الغريب، يحملها جراحه ويرحل في المغيب ."

وبدأ يرددها وينظر إليها بطرف عينيه وهو مبتسم: "يحملها جراحه ويرحل في المغيب، يحملها جراحه ويرحل في المغيب."

ابتسمت "شهد" وبدأت تغني معه وصوتهما يمتزجان في نبرة واحدة: "يتهمل شوية ويتودع شوية."

ثم وضع إحدى يديه على يدها الموضوعة على الرمال وهو يردد معها: "تعانق المية شط إسكندرية."

وكلا منهم يبتسم ويستمران في الغناء بصوت واحد ومنظر الغروب يضيف إلى الغناء جمالًا، السماء بلونها الأزرق تمتزج مع الشمس بلونها البرتقالي المائل إلى الاحمرار، تختفي تدريجيًا وراء البحر بلونه الأزرق

الجذاب، وتسقط عليه آشعة الشمس الأخيرة فتعطيه بريقا، ثم اختفت الشمس نهائيًا واختفى معها حزن أحدهم في هذا العالم .

قال في نفسه: قرأت ذات مرة أن الأرواح ليس ضرورة أن تكون بجسدك، لم أفهمها وقتها، ولكن الآن فهمت، وشعرت، فلطالما كانت روحي ساكنة بك، وعندما أتيت عادت روحي إليَّ، وإن رحلتِ سترحل معك.. فعليكِ أن تردي الأمانات إلى أهلها.

وهذه المرة كان يرى طيف شخص جديد على البحر .

"ليالي مشيتك يا شط الغرام وإن أنا نسيتك ينساني المنام والشاهد عليَّ غنوة أمارية والنسمة البحرية وشط إسكندرية، شط إسكندرية يا شط الهوى."

أنا لحبيبي

في إحدى الشوارع الراقية، عمارة ذات الاثنى عشر دورًا، تُتَوجها العصافير مُعلنة منافسة مَن الأفضل صوتًا في التغريد؟

الشمس ساطعة تزين المنافسة، في الدور الثامن من تلك العمارة شقتين، الشقة التي على اليمين في إحدى غرفها يعلو صوت مؤنث رقيق: "أنا لحبيبي وحبيبي إلي، يا عصفورة بيضا لا بقى تسألي"، ثم ارتدت بنطالها الرمادي الفاتح، "لا يعتب حدا ولا يزعل حدا، أنا لحبيبي وحبيبي إلي"، ثم صعدت بلوزة وردية اللون إليها "حبيبي ندهلي قالي الشتي راح، رجعت اليمامة زهر التفاح"، تركت شعرها الأسود المزين بخصل ذهبية الطويل حُرًا، "وأنا على بابي الندى والصباح، بعيونك ربيعي نور وحلي" وضعت مزين الشفاه بلون وردي فاتح، ثم قطعت الغناء ونادت بصوت عالٍ: أمي أنا راحلة إلى العمل، هل تريدين شيئًا؟

- لا عزيزتي، هل ستذهبين وحدك أم مع خطيبك؟

- مع "هشام."

ثم خرجت "شهد" متجهة إلى الشقة المقابلة لها وطرقته عدة طرقات، ففتح لها "هشام" مرتديًا بيجامته، عينان بُنيتان ذابلتان تخفيها الهالات السوداء .

- ما هذا ألازلت نائمًا؟! هيا بسرعة ستتأخر.

تركها متجهًا إلى غرفته، فدخلت وراءه، وقابلت أمه فابتسمت لها بتحية، قال "هشام": لن أذهب إلى العمل اليوم، خذي مفاتيح السيارة واذهبي أنتِ.

ثم جلس على السرير ليرتاح، فقدمه أصبحت هشة كمعدن صدء .

- ماذا؟! لِمَ؟ أنتَ لم تذهب منذ أسبوع ستُفصل من العمل .

ثم سحبت كرسيًا لتجلس أمامه، فرد: حسنا فليفعلوا.

ثم وضعت يدها على جبهته وخده ورقبته لتقيس حرارته.

– ألازلت مريضًا؟ أخبرتك يجب أن تذهب إلى الطبيب حالتك تزداد سوءًا كل يوم، الهالات السوداء أخفت عينيك والقئ لا يتوقف، وجهك أصبح باهتًا وأصفر اللون وخسرت نصف وزنك تقريبًا، يجب أن تذهب إلى الطبيب اليوم .

– سأفعل .

كانت تعلم أنه يجاريها فقط ولن يذهب، فقالت بيأس وهي تنظر لساعة يدها: سأرحل الآن، حاول أن ترتاح .

هز رأسه موافقًا وخرجت متجهة إلى المطبخ قائلة لأمه: أرجوكِ حاولي إقناعه ليذهب إلى الطبيب .

– سأحاول يا عزيزتي، اذهبي أنتِ الآن .

قبلتها على وجنتيها ورحلت بعقل شارد ونصف قلب قلق على النصف الآخر .

عندما عادت من العمل بعد رحيل الشمس، طرقت على بابه ففتحت والدته .

- تفضلي يا عزيزتي.

- أشكرك يا أمي، أريد فقط أن أطمئن على "هشام"، هل تحسن؟

- لا، جلس معي قليلًا ثم نام مرة أخرى .

- لم يوافق على الذهاب للطبيب؟

- لا، مازال يُعاند .

- لا تقلقي، سأقنعه عندما يستيقظ .

ثم ودعتها ودلفت إلى بيتها .

الساعة العاشرة مساءً

كانت الطرقات تعلوعلى باب بيت "شهد"، ففتحت والدتها وكان "هشام" الزائر، مرتديًا بنطاله الأبيض والقميص الأسود، منذ فترة كان يبدو وسيمًا في ذلك اللباس، ويجعله شعره الأسود الناعم اللامع أكثر وسامة، أما اليوم فيبدو باهتًا ذابلًا.

- أهلًا يا بني، تفضل، كيف حالك الآن؟

أجاب بطريقة روتينية وهو يدخل البيت: أفضل الحمد لله .

جلس في الصالون ذي الطابع "الكلاسيكي" وأحد الكراسي نصيب "هشام ."

- هل "شهد" موجودة؟

- نعم، سأناديها .

قامت الأم واختفت وراء الستائر ذات لون الـ "كافيه" التي تفصل بين الصالون وباقي المنزل، وكانت الغدد العرقية لـ "هشام" في حالة فيضان، دقائق مرت بالنسبة له كـدهر من العمر، ثم ظهرت "شهد" أميرة في عصر "الكاچوال" ترتدي بنطالًا بلون "الكافيه" وبلوزة بلون "زيتوني" تظهر كلتا ذراعيها، ذلك العقد الذهبي يزين عنقها الناعمة، شعرها حر، فحيته "شهد" بشوق وحب، أما هو فكانت تحيته باردة كـعادته منذ فترة، جلست على الكرسي المقابل له .

- والدتك أخبرتني أنك لازلت ترفض الذهاب للطبيب.

- نعم، وأرجوكِ كفي عن هذا الموضوع.

- لن أكف قبل أن تذهب إليه أو تخبرني لِمَ لا تريد الذهاب؟

- لأني لا أحب الأطباء والمستشفيات .

- ومن يحبهم؟!، كف أنتَ عن هذه الحركات الطفولية.

دخلت الأم ومعها العصير والكيك، فقالت: لا تغضب يا بني، أنتَ تعلم أن "شهد" تحبك وقلقة عليك .

هز رأسه بأنه يعلم مع ابتسامة مجبرًاعليها، ثم تركتهما ودلفت إلى الداخل، تبعها "هشام" بعينيه حتى اختفت، ثم قال مع هز رجليه المتضطربة، وسحب الدبلة لنصف إصبعه ثم ارتداها مجددًا: أنا لم آتي للتحدث عن مرضي، أتيت لنتحدث في موضوع أهم.

- لا يوجد ما هو أكثر أهمية من مرضك، على كلٍ، هات ما عندك .

- أنا أريد أن ننفصل .

وقع كوب العصير من يديها وهي تقدمه له، فزاد من ارتباكها، لا تعلم هل تمسح آثار العصير أم تصفعه على وجهه، ولم تفعل أيًا منهما بل

ظلت مكانها ترمقه بنظرات عتاب وأمل على أنه يمزح، فدخلت الأم إليهما على صوت الانكسار وصراع دقات القلوب، فقالت: لا عليكِ يا حبيبتي سأحضر شيئا لأنظفها .

فقالت "شهد" بصوت يملأه الشجن وعينيها تخترق عين "هشام": لا داعي، هناك أشياء بعد حدوثها يستحيل محوها، نظرت الأم بعدم فهم فقالت مرة أخرى: سأنظفها بعد انتهاء حديثكما.

دلفت الأم إلى الداخل، حاولت "شهد" السيطرة على أعصابها.

- ماذا قلت؟

فقال بارتباك وهو يبعد عينيه عنها: "شهد".. أرجوكِ افهميني، نحن غير متفاهمين منذ فترة، كأن كل منا لا يعلم شيئًا عن الآخر، كلا منا تغير ونحتاج فترة للتفكير من جديد لتحديد مصير هذا الارتباط، أنا لم أعد متأكدًا من مشاعري ناحيتك .

- أنا التي لم أعد أفهمك، أنتَ الذي تغير، أي فترة تحتاجها لتحديد مشاعرك ومصيري؟!، هل تعلم نحن مرتبطان منذ متى؟ ارتبطنا منذ

كنا أطفالًا نلهو ونلعب معًا، منذ أن كنت تدافع عني إذا أزعجني أحد، منذ أن كنت تصحبني إلى دروس الثانوية وتذاكر لي، منذ كان طلاب الكلية جميعهم يقولون إنكَ خطيبي ولم نخطب بعد، منذ تخرجت من جامعتي وبذلت أنتَ كل جهدك لتحقيق أحلامي، والآن لست متأكدًا من مشاعرك؟!

ترقرقت عيناهما بالدموع، فقال "هشام": كنا أطفالًا، أنا الآن نضجت وأصبحت أفكر بعقلي لا بقلبي.

ثم خلع دبلته ووضعها على الطاولة التي تفصل بينهما فقامت "شهد" بسرعة من مكانها وجلست على طرف الكنبة لتكون قريبة منه ومسكت يديه وعيناها مليئة بالدموع: أرجوك لا تكذب عليّ وأخبرني الحقيقة ماذا حدث لتتخذ هذا القرار فجأة؟ منذ أكثر من شهر وأسلوبك معي تغير، كنت أحاول إقناع نفسي بأنه ضغط العمل ثم مرضك، ولكن لا، بالتأكيد هناك شيء أكبر من هذا، هل فعلت شيئًا أزعجك؟ هل أخبرك أحدهم بشيء سيئ عني؟

سحب "هشام" يديه من يدها فنظرت له بألم وهزت رأسها بـ لا تفعل هذا بي، فقام من مكانه وقال: لقد أخبرتك الحقيقة، لا أستطيع أن أكمل في هذه العلاقة .

ثم رحل دون أن يطفئ لهيب قلبها الذي أشعله، رحل ومعه نصف قلبها وترك النصف الآخر هشًا، منكسرًا، يزرف الدموع، تائهًا وحائرًا، ذهبت "شهد" إلى غرفتها وامتدت على سريرها تبكي وتكتم آهاتها بوسادتها .

استيقظت في اليوم التالي بعيون مُنتفخة من بكاء الليل، اعتدلت وجلست على السرير وبعين ذابلة ووجنتين بهما خطين باللون الأسود، نظرت إلى وسادتها البيضاء المُلطخة بكحل عينيها الذي تم إفساده ليلًا، ثم قالت بصوت مُختنق: لا نختلف عن بعض كثيرًا أنا أيضا أصبح قلبي مُلطخًا بالأسود .

ثم قامت لتبدل ملابسها التي نامت بها من التعب.. أو الألم، ثم نظرت في المرآة وهي ترتدي "البيچامة" البنية، ثم لمعت عيناها الحزينة فجأة عندما داعبتها فكرة .

وقفت "شهد" أمام باب منزل "هشام" مرتدية فستانًا "ورديًا" طويلًا ذا أكمام طويلة تغطي كلتا ذراعيها، يُظهر تفاصيل جسدها، وتضع طرحة "رمادية" على كتفيها، عينان مُكحلة وشفاه وردية، شعر مسترسل، وتحمل باقة من الزهور الحمراء والبيضاء، دقت جرس الباب وكان قلبها يتوسلها لتعود إلى بيتها، كان صوت دقات قلبها أعلى من صوت الجرس، فتح "هشام" الباب ومعه توقف قلبها عن الخفقان وسحبت شهيقًا لم يتبعه زفير، نظر لها "هشام" بتأمل من شعرها إلى حذائها، ثم تذكر قراره فقال بلامبالة كاذبة: ماذا؟

فقالت بابتسامة عشق: ألن تطلب مني الدخول؟

- عذرًا، أمي ليست بالبيت ولا يصح أن تدخلي، ثم لم يعد هناك شيء بيننا يسمح لكِ بدخول بيتي .

قالت بابتسامة باهتة: من أين أتيت بهذه القسوة؟ على كلٍ أمي بالبيت، هل تسمح أن تتفضل معي لأقول ما أردت قوله؟

- يمكنك قوله الآن، أو ارحلي .

ابتلعت ريقها كسكين يشق حلقها.

- لا أعلم ماذا حل بك، لكني متأكدة أن ثمة سوء تفاهم وأريد أن تشرح لي ماذا يدور بعقلك لأوضح لك الأمر .

- لم أطلب منكِ توضيح لشيء.

نظرت في اتجاه آخر تخفي ترقرق عينيها ثم قالت بابتسامة مصنوعة: ألن تأخذ الزهور؟

- إن كنت أحتاج لزهور كنت اشتريتها بنفسي.

صرخت فيه: "هشام".. يكفي هذا، قل ماذا حدث، هذا حقي أريد أن أفهم بـماذا أخطأت لتفعل بي كل هذا؟

ارتدى قناع البرود لـ يخفي خفقان قلبه: لم تفعلي شيئًا، كل ما في الأمر أني أحببت فتاة أخرى ولم أعد أريدك في حياتي، والآن ارحلي وكفاكِ ضجة .

ثم أغلق الباب في وجهها، لم تتحرك "شهد" من مكانها لتستوعب ما سمعته ثم دفعت باقة الزهور على الباب بقوة وغضب، وسندت

جسدها على بابه تبكي بألم كأنها تضم الباب، أما قلبها يضم من هو خلف الباب الذي حاله لم يختلف عن حالها إلا أنه كان يراها من وراء دموعه من العين السحرية بالباب، بعد دقيقة من البكاء والعناق غير المباشر، عادت "شهد" إلى بيتها ولم يختلف حالها عن الليل الحزين الذي عاشته بالأمس .

في اليوم التالي بعد غروب الشمس كانت "شهد" تجلس على سريرها وتبحث في هاتفها في جهات الاتصال بلهفة عن اسم تتمنى أن تلمحه ولا تكون محتهُ ثم وجدته، فضغطت زر الاتصال بسرعة وأخذت تذهب وتأتي في غرفتها بتوتر، حتى جاءها صوت غليظ فقالت: السلام عليكم، هل يمكنني التحدث مع "هاني"؟

– وعليكم السلام، أنا "هاني" من معي؟

– أنا "شهد" خطيبة صديقك "هشام ."

قال بتردد: آه، أهلا وسهلا "شهد"، كيف حالك؟

- بخير، أين "هشام"؟ ذهبتُ اليوم نهارًا أطمئن عليه وأسأله إن ذهب للطبيب أم لا فأخبرتني والدته أنه سافر، ما الذي يحدث معه جعله يفسخ خطبتنا ويسافر فجأة هكذا؟

قال بنبرة مهتزة: "هشام" سافر للعمل بالخارج، وفسخ الخطوبة لأنه أحب إحدى الفتيات.

- أنت كاذب، وهو أيضًا يكذب، أرجوك أخبرني ما الذي يحدث أنا متأكدة أنه في ورطة أو مشكلة، أرجوك أخبرني قد أستطيع مساعدته وأعدك ألا أخبر والدته بشيء.

صمت برهة ثم قال: أتعديني بذلك؟

- أقسم لك.

-" هشام" ذهب إلى مستشفى ليُعالج من الإدمان .

تلقت الصدمة بالصمت وجلست على السرير قبل أن تسقط هي وهاتفها على الأرض .

- كيف؟

- عندما سافر منذ فترة مع أصدقائه، لم يكن يعلم أنهم مدمنين وهناك ظلوا يقنعوه بالتجربة ولو مرة وبالطبع المرة جاءت بالثانية والثالثة وغيرها، حاول مرارًا أن يعالج نفسه بنفسه، ولكنه لم يستطع فقرر الذهاب إلى المستشفى، وأخبرني أنه سيبتعد عنكِ حتى يتعافى تمامًا، ثم يعود إن لم يدخل أحد حياتك ويخبرك الحقيقة، وسيكون القرار قرارك لأنه لا يريدك زوجة مدمن، "هشام" كان يخشى عليكِ من نفسه .

ظلت تستمع إليه وقلبها يعتصر ألمًا وشوقًا وحزنًا.

- أشكرك على مساعدتي.

ثم أغلقت الهاتف وظلت طوال الليل تفكر، ماذا تفعل هل تنتظره؟ هل ستستطيع تحمل هذه المحنة؟ هل تذهب إليه وتسانده؟ بالطبع تحبه ولكنه مدمن، ظلت طوال الليل على هذا الحال وهاجرها النوم، ظلت تبكي في الظلام، أما على الناحية الأخرى كان "هشام" يتألم، ألم التعافي، ذلك الشعور بالبرودة فـيغلق الشبابيك ويلتف في غطائه ثم الشعور

بالحرارة فيفتح المكيف ويخلع قميصه، وبنتابه ألم الفراق والشوق، والغثيان والمعدة .

* * *

في صباح يوم جديد، جاء الممرض يخبر "هشام" بأن أحدا ينتظره بحديقة المستشفى، نزل الحديقة وبحث بعينيه عن "هاني"، وشعر بيد تلمسه على كتفه فالتف إليه فوجد "شهد ."

فقال بدهشة: كيف أتيتِ إلى هنا؟!

فقالت مازحة بعيون مشتاقة: بالسيارة.

– ماذا أتى بكِ إلى هنا، من أخبرك بمكاني؟ بالتأكيد "هاني"، لا أحد غيره يعلم أني هنا، كيف تسمحي لنفسك بالتدخل في حياة الآخرين .

– ألم يخبرك أحد أنكَ فاشل بالتمثيل يا عزيزي؟!

– لِمَ أتيتِ، أخبرتكِ من قبل أني أحب فتاة أخرى.

– ابحث عن أكذوبة غيرها .

– ارحلي الآن من هنا.

– وإن لم أفعل؟

- سأرحل أنا .

ثم تركها وهمّ بالرحيل، فمسكت يديه، فتشبث مكانه كأنه التصق بالأرض، ونظر لها بعيون متوسلة أن تكف عن التأثير على قلبه، ثم وقفت أمامه وقالت بقلبها قبل لسانها: "هشام" لا داعي لكل هذا، "هاني" أخبرني بكل شيء وأنا أحبك وأعلم أنك تورطت وإنك لست من هذا النوع من الرجال، أرجوك كف عما تفعله، سأظل معكَ حتى تتعافى وسنعود لحياتنا كما كنا.

- الموضوع أصعب مما تتخيلي، يمكنني أن أعود للإدمان مرة أخرى في أي لحظة .

- وستتعافى مرة أخرى.

- وقتها سأكون شخصًا آخر .

- ستظل بالنسبة لي نفس الشخص الذي أحببته منذ نعومة أظافره.

- يمكنني أن اخرج عن شعوري وأقول ما لا تحبيه.

- أحب أي شيء تقوله.

- سأكون عنيفًا.

قالت مازحة: سأتعلم الملاكمة .

- وقتها يمكن أقول إني لا أحبك حقًا.

- سأبدأ من جديد وأجعلك تحبني مرة أخرى.

- قد أرحل من البيت .

- ثم تعود وتجدني في انتظارك .

- محتمل أن أسرق أموالك.

قالت مازحة: وعندما تتعافى سآخذ منك أضعافها .

اقترب منها "هشام" أكثر وأشبع عينيه من تأمل عينيها وقَبّل يديها ورأسها، ظلت عيناهما تتحدث بما يحمله قلب كلا منهما، ثم أخرجت "شهد" من حقيبتها دبلتان إحداهما ذهبية والأخرى فضية، فضحك "هشام"، وألبسها الدبلة الذهبية وألبسته الدبلة الفضية، قَبّل يدها مرة أخرى وهمس في أذنها: أحبك.

فابتسمت"شهد": المرة القادمة اختر كذبة يمكن تصديقها .

ثم قالت تقلده: كل ما في الأمر أني أحببت فتاة أخرى ولم أعد أريدك في حياتي .

فضحك "هشام": هل صوتي جميل هكذا؟

قالت بعناد طفولي: بالتأكيد.

- وكيف عرفتِ أني أكذب؟

قالت تتصنع الغرور: لأنك ببساطة لا يمكنك أن تحب فتاة غيري .

فهمس في أذنها: هذا حقيقي وأفتخر بذلك.

نظرت له بعشق ووضعت يدها على ذقنه كأنها تدلل طفلًا صغيرًا.

جاء الممرض ليطلب "هشام" للصعود للغرفة لاستكمال العلاج فقال: هيا؟

تعانقت أيدي "هشام" و"شهد" معًا وقالوا بثقة في نبرة واحدة: هيا .

إذا رجعت

في إحدى ليالي القاهرة، القمر بازغ في السماء، "شهد" تجلس على إحدى طاولات مقهى اعتادت أن تأتي إليه مُنذ خمسة أشهُر، عينان بنية صغيرة، شفاه وردية، بشرة خمرية، ترتدي فستانًا أزرق يصل حتى ركبتيها، لا يُخفي شيئًا من ذراعيها، بحزام فضي على الخصر، الدانتيل الأزرق على شكل ورد في الجانبين، وشعرها متحرر، تجلس على الطاولة المقابلة لـ "هشام" تتأمله بعيون عاشقة، شعر أسود مع خُصلات رمادية تعطيه لمسة وقار وتزيده جاذبية، لِحية مُرتبة، عيون كـالليل واسعة، حقًا تُشبه الليل، هدوءه وسكونه، نسمات هوائه المنعشة، يمسك إحدى الكتب وكأنه سافر به، لا يشعر بأحد ولا ينتبه لما حوله .

قالت لِنفسها: يجب أن أتخذ خطوة هذه المرة، ليس كل يوم آتي أختطف نظرات وأرحل، يجب أن تبدأ هذه القصة، منذ ثلاثة أعوام وأنا أكتب مُقدمتها، أُحبه في صمت، أراهُ في صمت، أحضر حفلات توقيع

رواياته، وهو يتعامل معي كأي فتاة من معجبيه، ولكني لستُ كذلك، لستُ كأي فتاة تقرأ له، هو ليس فقط كاتبي المُفضل، بل هو رجُلِي المُفضل، لا أعلم كيف ومتى حدث هذا ولكني أحبه، مُنذ أن علمت أنه يأتي هنا وأنا آتي كل يوم لأراه فقط، ولكن اليوم يجب أن تبدأ قصتنا .

ثم قامت من مكانها، تحركت تجاهه وقلبها يتمنى أن يتحرك عكس الاتجاه من الرهبة، ثم قالت بابتسامة خفيفة: هل يمكنني احتساء القهوة معك؟

نظر لها للحظة ثم قال دون إبداء علامات القبول: تفضلي.

جلست على الكرسي المقابل له كـمَنْ انتصر في حرب لا يحارب فيها غيره، ثم طلبت النادل: اثنان قهوة إذا سمحت .

ثم نظرت لـ "هشام": مظبوط أم ماذا؟

نظر "هشام" للنادل: واحد فقط .

ثم نظر لـ "شهد" وأشار على فنجان قهوة على الطاولة فارغ ، فردت عليه: القهوة لا نهاية لها، كـالسعادة تمامًا، سَتحتسي واحدًا آخر، ما نوعك المفضل؟

تعجب منها، ثم قال: مظبوط.

نظرت للنادل: اثنان قهوة مظبوط.

رحل النادل ثم نظرت لـ "هشام": هل ستتحدث أنت أم أتحدث أنا؟

- عن ماذا؟

- عن أي شيء، وكل شيء .

نظر بتعجب فأردفت: أنا "شهد"، أتابع كِتاباتك مُنذ خمس سنوات أي مُنذ أن بدأت، واشتريت جميع رواياتك، وحضرتك جميع حفلات توقيعك .

- أشكرك على هذا الاهتمام .

- وأتابع أخبارك أيضا وأعلم أنك انفصلت عن خطيبتك.

نظر لها بغضب: لا أريد التحدث في أمور خاصة.

- وأنا لم أقل إني أريد هذا .

- جيد.

جاء النادل ووضع القهوة أمامهما ورحل، قالت: هل يمكننا أن نكون أصدقاء؟

- لِمَ؟

- لأني سأكون محظوظة.

- لا أؤمن بالصداقة.

- لِمَ؟

- ولِمَ أؤمن بها؟

- لأن حياتك دون صديق كـحياة دون طعام وشراب .

- اختلاف وجهات نظر.

- سأثبت كلامي لك، صادقني لمدة شهر وإن لم أُقنعك فـيمكنك إنهاء هذا الاتفاق.

- لا شكرًا .

قالت بنظرات مترجية: أرجوك .

تعجب منها وأصابه التوتر: حسنًا.

قامت من مكانها بفرحة انتصار، ثم قالت: أراكَ غدًا في نفس الوقت ونفس المكان .

ثم أمسكت بهاتفه الموجود أمامه على الطاولة، وكتبت رقمها واتصلت على نفسها لـتحتفظ بِرقمِه، ثم ودعته ورحلت .

اليوم التالي

"شهد" تجلس على الطاولة مُرتدية فُستانًا ورديًا طويلًا، يصل حتى قدميها، يكشف ذراعيها، وجعلت شعرها في شكل سُنبلة، تمسك هاتفها لـتتصل به للمرة الخامسة عشر، ولا يأتي إجابة من الطرف الآخر، مّرَ ثلاث ساعات وفنجانان قهوة .

دخل "هشام" إلى المقهى بهدوء، ثم وقف مكانه متفاجئًا بوجودها للحظة، ثم تقدم نحوها ببرود، فقامت لـتستقبله بابتسامة ترحاب، سَلم

عليها وجلس، ثم رمى الكتاب الذي يحمله على الطاولة بعنف، وأسند ظهره للخلف وتنهد، ثم قال بفتور وهو ينظر إلى الطاولة: انتظرتني ثلاث ساعات ولم ترحلي!

- انتظرت من قبل 3 سنوات .

نظر لها دون فهم ينتظر توضيح، فابتسمت لِـتُغير الموضوع.

- لا تهتم، لِمَ تأخرت؟

- لـترحلي .

ضحكت منه قائلة: خطة فاشلة، ابحث عن غيرها المرة القادمة.

- لن يكون هناك مرة قادمة .

لم ترد وانتظرت أن يُفسر كلامه.

- يجب أن ننهي هذه السخافة.

- قل لي أين هي وسَأنهيها؟

مسكَ معصم يديها بغضب: كُفي عن اللعب بالألفاظ معي وابتعدي عني وارحلي، ابحثي عن غيري لِـتتسلي معه، ليسَ لدي وقت أو مشاعر لأستنزفهم عليكِ أيتها الطفلة .

سحبت يديه بهدوء عنها، ووضعتها على الطاولة وخبطت عليها بحنان لـيهدأ.

- لستُ طفلة، عُمري عشرين عامًا .

- وأنا عُمري سبعة وثلاثين عامًا، إذا تزوجت سأُنجب فتاة في سنك.

- تُبالغ في تعبيراتك أيها الكاتب .

لم يرد عليها وأخذ كتابه بغضب، وقام من على الكرسي بعصبية ورحل، ذهبت وراءه ومشت بجانبه وتحدثت كأن شيئًا لم يحدث: لِمَ لم تتزوج؟

لم يجب، وكان يزيد من اتساع خطواته لـيهرب منها وهي تجري بجانبه لـتلحقه.

- لِمَ تركتك الفتاة التي أحببتها؟

لم يرد مرة أخرى ويضغط على شفتيه بغضب حتى نزفت .

- هل تركتك لأنك غير صالح للحب؟

توقف فجأة، وأمسكها بغضب من ذراعها، ودفعها بشدة حتى وقعت على الأرض وصرخ فيها: اتركيني وشأني .

أخذ شهيقًا وزفيرًا قويين، ثم صمت لحظة ومد يده لها ليُساعدها على النهوض، اعتمدت على نفسها ولم تمسك يده وقامت، نظفت ملابسها من التراب فنظر لها بأسف وهمس: أنا آسف.

لم تُجب، ومسحت دماء شفتيه بأصابعها وهي تحدق في عينيه بحب وشفقة، وهو يبادلها النظرات بتعجب وعدم فهم، ثم مالت عليه وهمست في أذنيه: أجّل اعتذارك لغدًا، سأنتظرك في نفس الموعد ونفس المقهى، وإن لم تأت لن أسامحك .

ثم وضعت قُبلة على وجنته، ورحلت، وظل هو مكانه يتابع خطواتها الحزينة بتعجب وبلا فهم .

وصلت في موعدها فوجدته ينتظرها، ذهبت تجاهه بـفُستانها بنفسجي اللون يكشف عن ذراعيها، مفتوح من الخلف في وسط ظهرها على شكل دائرة، سألت دون أن تجلس: لِمَ أتيت مُبكرًا؟

لم يُجبْ عن سؤالها.

- أنا آسف .

ثم جلست على الكرسي المقابل له، فسألها وهو يستند على الطاولة باهتمام: لِمَ تفعلين هذا؟

أسندت ظهرها للخلف وقالت ببرود: لأني أحبك .

صمت لحظة يستوعب ما تقوله، ثم قال: كيف؟!

- هل تحتسي القهوة؟

لم يُجب عليها، فنادت النادل: اثنان قهوة مظبوط إذا سمحت .

ثم نظرت لـ "هشام" لـترُد على سؤاله: ينبُض قلبي، فأشعر أني أحبك، أمر بسيط.

- بل غريب ولا يصدق !

- حسنًا كما تحب، من الأساس لا يُهمني إن كُنت ستصدقني أم لا، تصديقك أو عدمه لن يُغير مشاعري .

وضع النادل القهوة أمامهما ورحل، فرجع "هشام" بظهره للخلف: ولكن هذا مؤلم .

- المؤلم أكثر هو ابتعادك وهروبك ورفضك لي.

- أنا لا أرفضك أنتِ، بل أرفض هذه العلاقة.

مالت على الطاولة وقالت بحزن: لِمَ؟

- لأني لا أُريد أن أُسبب لكِ الجرح، أنا كـالزجاج المنكسر أجرح أي شخص يقترب مني حتى إن لم أكن أريد ذلك .

- لا أمانع.

صمت، فوضعت يدها على يده وفقالت بترجي: ستبقى؟

- سأحاول .

- الآن يجب أن أرحل، أراكَ غدًا.

ثم قامت من مكانها وقالت: سَـأشتاقُ إليك، حتى وإن لن تشتاق .

ورحلت .

* * *

اليوم التالي

يمشيان بجوار بعضهما مرتدية فُستانها الأحمر طويل الأكمام، مفتوح الظهر على حرف"V" ، وطويل، قال لها: أخشى عليكِ من هذه العلاقة.

- وأنا أخشى عليكَ بدونها.

- كيف؟!

- لأنكَ تحتاجُني أكثر مما أحتاجك، أنا أحب، أما أنت، فلا تشعر بشيء ، وهذا أسوء شيء، ألا تشعر، يعني فقدانك شيء يشعرك بأنكَ إنسان، وفقدان شعور الإنسانية، يعني الحياة بلا معنى .

- متى أصبحتِ فيلسوفة؟

- منذ أصبح الزمكان في عينيك .

- لِمَ أنا؟

- ابتلاء من الله .

ضحك منها بشدة ورد: لا، حقًا أريد أن أعرف.

- هذه الحقيقة، ابتلاني بكَ لـيُكافئني على صبري بِضحكتكَ.

- ألا تشعرين بالألم؟

- بل لأول مرة أشعر بالحب.

- ولكنه من طرف واحد .

- لا يَهُم، الحب في ذاته شعور مُمتع، محظوظ مَنْ يَشعُر به، حتى لو كان الطرف الآخر لا يُبادله، يكفيني أنك بِجواري.

- ولكني لا أحبك.

- أعلم، ولكنكَ سَتحبُني.

– من أين هذه الثقة؟

وقفت ونظرت لِعينيه: من عينيك التي ضحكت لي أنا وهي لم تضحك منذ فترة طويلة جدًا.

بادلها بالنظرات كـمَنْ أرسل الله له مُعجزة ويخشى أن يكون حلمًا .

وجدا أنفسهما أمام الكورنيش فجلسا على طاولة، ثم سألته باهتمام: هل تعلم كم فتاة تُحب ذلك الكاتب الحزين؟

– لا، لكني أعلم أنها واحدة فقط مَنْ وصلت لي وأصبحت صديقتي، واحدة فقط اقتربت مني وتحملت كآبتي وغضبي وقسوتي، واحدة فقط تحملتني دون مقابل، دون أن تريد أي شيء .

– ولكني أريدك أن تُحبني .

– ولكني لم أفعل ولم ترحلي.

– ولن أرحل .

رد بابتسامة، فسألت: لِمَ لا تريد أن تحبني؟

- أنا لست لا أريد، بل لا أستطيع .

- لا فرق بينهم.

- لا، هناك فرق كبير، أنا أريد لكني لا أستطيع، لا أريد يعني أني لا أراكِ ولا أهتم بوجودك، ولكني أهتم بشدة، ولكن لا أستطيع يعني أن إناء مشاعري فارغ، ليس لدي ماء لأروي عطشك منه .

ثم أردف مُحدقًا لعينيها: أخشى عليكِ من هذا العطش أن يسبب لكِ الجفاف، حُبك هذا سيُميتك.

- أُفضّل أن أموت عطشًا من حُبك على أن يرويني غيرك .

- ولكني لا أريد أن أُميتك.

- الموت معك حياة والحياة دونك موت.

صمتا للحظات فوقفت قائلة: يجب أن أرحل .

فقام من مكانه بِلهفة: لازال الوقت مبكرًا.

- لا، تأخرت .

- سأراكِ غدًا؟

- إن كنت تُريد.

- أريد .

فابتسمت بسعادة: إذن سآتي.

ثم ودعته وهمت لترحل فمسك إحدى يديها: ألم تنسي شيئًا؟

فقالت بتعجب: ماذا؟!

لم يرد وهز كتفيه بلا أعرف، فسكتت لحظة تفكر ثم فهمت وابتسمت ومالت إليه وقبلت وجنته فهمس لها بشوق: سأشتاق إليكِ، حتى وإن لن تشتاقي.

فبادلته الهمسات: سأشتاقُ أيضًا .

همت لترحل فمسك يدها مرة أخرى فقالت بتعجب: ماذا؟

ظل مُمسكًا بيدها ومسح بيده الأخرى على إحدى وجنتيها بحنان ونظر لـعينيها بشوق: عيناكِ قاسية اليوم، نست أن تُودع عينيَّ.

ثم رفع يديها لشفتيه وقبلها .

ترقرقت عيناها بفرحة ثم ابتسم لها وترك يديها بحنان.

- يمكنكِ الرحيل الآن.

ودعته بحب ورحلت وقلبها ينبض بشدة كأنه سيخرج منها ليضمه .

اليوم التالي

جلست على طاولتها منذ خمس ساعات، ولكنه لم يأت، اتصلت به مئات المرات ولا يُجيب، عيناها تترقرق خوفًا أن يكون حدث له مكروه، كتبت له رسالة: "أين أنت؟ أرجوك رد على اتصالي."

ثم ضغطت على زر إرسال، بعد دقيقة اتصلت مرة أخرى فجاء صوته من الطرف الآخر: ماذا؟!

قالت بغضب ممزوج بـقلق: ماذا أنت؟ لِمَ لم تأت ولا تجيب على اتصالي؟

- لا أريد .

- لا تريد ماذا؟

- لا أريد أن آتي ولا أريد أن أُجيب ولا أريدك .

كان جوابه كصعقة في قلبها .

- ما الذي تقوله أنت؟ ماذا حدث لتقول ذلك؟

صرخ فيها: كفي إلى هذا الحد أيتها الصغيرة، لعبنا وتسلينا معًا وانتهى الأمر، لقد مللت هذه اللعبة، كفاكِ إلى هذا الحد .

ثم أغلق الهاتف، اتصلت مرة أخرى ولكن الهاتف مغلق، ظلت تبكي وتنتظره في نفس المكان ساعتين لعله يمزح أو سيأتي ولكنه لم يأت، مسحت عينيها وقامت لتسأل النادل إن كان يعرف أين بيته فأعطاها العنوان.

ذهبت إليه وظلت تطرق على باب بيته حتى كاد أن ينكسر ولكن لا مُجيب، خرج أحد الجيران وقال: الأستاذ "هشام" سافر، لا أحد في الداخل .

- سافر! إلى أين؟ !

- الإسكندرية .

- هل لديك عنوانه؟

- نعم .

ثم أعطاها عنوان بيته في الإسكندرية .

وصلت إلى بيته في الإسكندرية، وطرقت على بابه ولكن لا مُجيب مرة أخرى، خرج من أحد البيوت حديث فيروز إليها: "إذا رجعت بجن وإذا تركتك بشقى، لا قدرانة فل ولا قدرانه أبقى"، فطرقت على باب جيرانه فخرج لها رجل عجوز في العقد الخامس .

- أنا آسفة على الإزعاج ولكن كنت أريد أن أسألك، هل تعلم أين الأستاذ "هشام"؟

- نعم ذهب إلى الشاطئ منذ قليل .

تركته ونزلت إلى الشاطئ تجري وتبحث عنه في كل مكان حتى وجدته يقف هناك أمام البحر بأمواجه الهائجة كـقلبها تمامًا، فاتجهت نحوه ببكاء وغضب، ثم وقفت خلفه ومسحت عينيها: لأول مرة أجد شخصًا عندما يُحب يهرب بدلًا من أن يُصرّح بهذا الحب .

نظر إليها بتعجب: كيف جئتِ إلى هنا؟

- لِمَ هربت من حبك؟

أدار ظهره مرة أخرى: لا أفهم عن ماذا تتحدثين!

- بل تفهم ولكنك ضعيف، تخشى من الحب، تخشى أن تكون إنسانًا، عندما أحببتني هربت مني، خِفت من مشاعرك تجاهي.

- أنا لا أحبك، كفاكِ خيالات وأحلام، كوني واقعية لمرة واحدة .

- بل كن أنت قويًا واعترف، أنت تُحبني وبشدة، تخشى أن أحرجك، تخشى أن تكسر قلبي .

ثم أردفت بألم تترجاه وضمتهُ من الخلف: لا تخف لن يَحدث مكروه، أنا بجوارك، كل شيء سيكون بخير، إن جرحتني سأُسامحك، وأقسم أني لن أكسر قلبك ولكن قلها واعترف .

دفعها بعيدًا عنه وصرخ فيها: هل انتهيتِ؟ هيا ارحلي قلت لكِ لا أريدك .

صرخت هي الأخرى وبكت: كاذب، تُريدُني وتُحبني وتشتاق إليّ مثلما أشتاق، عيناك تقولها، عيناك تقول أخشى أن أنكسر، أنتَ تحبني وتشتاق وتتمنى ضمي مثلي تمامًا .

قاطعها وضمها بشدة إليه، وتعلقت في رقبته كـالطفلة، وازدادت حدة بكائها، حملها "هشام" من على الأرض وضمها كأنه يُحاول أن يخبئها بداخله، بدأت عيناه تترقرق بالدموع ويهمس إليها: أحبك يا "شهد".. لا أعلم كيف ولكني أحبك بشدة، لا ترحلي أبدًا.

حبوا بعضن

المكان هادئ، طرقه طويلة فارغة وهادئة، لا يوجد سواهما، حوائط بيضاء، عيناها تتشبث به ترجوه ألا يأخذ منها الأمل، الدموع والألم على وجهها، نظراته تكسر قلبها، ثم قال وهو يهرب من لوم عينيها: آسف.

ظلت تبتعد خطوات للخلف وعيناها تزداد ألمًا، ثم تركته وهربت جارية على السلالم لا تعلم إلى أين، ظلت تجري وتتأوه من ألم قلبها الذي لا يرحمها حتى سقطت على الأرض من فرط الألم، كان الشارع مظلمًا والقمر بازغًا، بدأت السماء تواسيها بدموعها والجو شديد البرودة، ثم فجأة عبرت سيارة على الطريق صارخة بصوت فيروز: "حبوا بعضن، تركوا بعضن، وكانت القصة تحت الشتي بأول شتي حبوا بعضن، وخلصت القصة بتاني شتي تركوا بعضن، حبوا بعضن، تركوا بعضن ."

كأن العالم اجتمع على إثارة الألم اليوم، ثم سار عام أمام عينيها كأنه حدث منذ قليل .

تقف على جانب مسرح الجامعة تتنفس ببطء محاولة تهدئة روعها، ضربات قلبها تنطق خوفًا، هي ذات الشعر الأسود الداكن القصير، مربوط على هيئة ذيل حصان، مرتدية قميصًا أسود وأبيض مخططًا بالطول وبنطالًا جينز أسود، بشرة خمرية، نظارة كبيرة لم تستطع إخفاء جمال عينيها، أنف طويل وشفاه رفيعة، قد لا تكون علامات جمال، ولكنها جميلة، ثم فجأة جاء أحدهم من الخلف: ماذا بكِ؟

انتفضت فأردف: لا تخافي، أنا "هاني" صديق المخرج، ماذا بكِ؟ كأن الخوف سيبتلعك .

- لا شيء .

صرخ أحدهم باسمُها، حانت لحظة أن تؤدي اختبار التمثيل للاشتراك في المسرحية، ارتبكت قليلًا ثم دلفت ببطء فقال مَن بالداخل بغضب: هيا أسرعي.

تقدمت ورجلاها تلتصق ببعضها، فسأل: اسمك بالكامل؟

- شهد محمد عبد السلام .

ثم دونه في نوتته.

– السن؟

– 21 سنة .

– الدراسة؟

– طالبة بالفرقة الثالثة بإعلام .

ثم دونه أيضًا، هو صاحب الشارب السميك والشعر البني والعين العسلية، أنف كبير، مرتدي بنطالًا أسود وقميصًا أبيض .

– الآن أريدك أن تؤدي الدور الآتي .

ثم أردف ذهابًا وإيابًا كأنه يُلقي درسًا لطلاب المدرسة.

– أنا رجل ضعيف الشخصية وأحبك بجنون، وأنتِ فتاة "سيكوباتية" تتمتعين بتعذيبي بحبُك، هيا أريني ما عندك .

ثم أردف بطريقة تمثيلية بصوت هادئ باكٍ: يا شهد أنا أحبك بكل ما أوتيت من مشاعر، سأفعل كل ما تأمريني به ولكن أرجوكِ كوني معي، أنا لم أطلب أن تحبيني، أنا فقط أريدك أن تتركيني أحبك .

لم ترد شهد وعيناها امتلأت بالدموع، فسأل هشام بغضب: ماذا؟!

قالت بصوت مختنق متقطع: لا أستطيع الارتجال .

زفر هشام بغضب، ثم قال: حسنًا، قولي هذا "أيها الحقير هل تعتقد أني سأسمح بهذه السخافة، كيف لي أن أكون مع أبله مثلك، هل جُننت؟"!

قالتها بعيون دامعة وصوت مُرتجف، فقال هشام بسخرية: هيا أريني أسوأ من هذا .

قالت بتعجب: ماذا؟!

- ما هذا الذي تفعلينه؟! إذا أحضرت طفلًا في المرحلة الابتدائية سيؤدي الدور بأفضل من هذا، هل جئتِ لتتسلين أيتها الصغيرة؟!

ظلت محدقة بصدمة وعيناها مليئة بالدموع ثم جرت لخارج المسرح باكية ورحلت .

* * *

بعد عام

تقف شهد أمام مطعم في الجامعة تستلم طلبها فالتفتت بجانبها فرأته، لا تتذكر جيدًا أين رأته من قبل ولكنها لا تنسى أبدًا من تعاملت معهم من قبل، ثم قال للطباخ بسخرية: هيا أرني أسوأ من هذا الساندويتش.

كان هذا الصوت وهذه الكلمات كافية لإثارة ثورتها، كان الغضب يشع من عينيها، فتقدمت نحوه وأوقعت الطعام عليه كأنها اصطدمت دون قصد وقالت بتحدٍ وسخرية: أوه آسفة، المرة القادمة قف بطريقة أسوأ من هذه .

ثم ابتسمت بانتصار ورحلت، نظر إليها بدهشة وعدم فهم، ثم نظف ملابسه، أخذ طعامه وجلس على طاولة فوجدها على الطاولة المقابلة له، تضع هاتفها على أذنها وتضحك كثيرًا، كانت جميلة، وابتسامتها جميلة، ظل يتابعها حتى أنهت محادثتها وبدأت في الأكل فرأته، نظرت له باحتقار ثم أدارت وجهها عنه، أنهى طعامه ثم قام

متجهًا نحوها، مد يده ليُسلم عليها مبتسمًا: هشام عامر، ممثل ومخرج مسرحي.

نظرت من فوق نظارتها على يده ولم ترد .

- هل يمكنني التحدث معكِ لدقائق؟!

رفعت حاجبها الأيمن ثم قالت باشمئزاز: تفضل .

جلس على كرسي مقابلًا لها وسأل بتعجب: ما مشكلتك معي؟!

- سل نفسك.

- سألتها وأجابتني بلا أعلم.

بدأت بإكمال طعامها ولم ترد، فقال: هناك مسرحية جديدة بدأت بالعمل عليها أنا وفريقي وكنت أريد أن تشاركي معنا إن أحببتي .

- آسفة لا يمكن، أحدهم قال لي من قبل أن طفل الابتدائية أفضل مني في التمثيل .

ثم جاءت صديقتها .

-" شهد "، هيا، محاضرة دكتور "عادل حمدي" ستبدأ .

فقامت لترحل، ظل يتابعها بعينيه بتعجب فقام خلفها بسرعة وأمسكها من ذراعها فدفعته بعيدًا عنها وقالت بغضب: من سمح لك بهذا؟!

- آسف لم أقصد، أردتُ فقط الاعتذار، لا أفهم ماذا فعلت لكِ بالضبط ولكني آسف.

ردت ببرود: حسنًا، انتهينا.

ثم جاء صديقه "هاني" من خلفه وضع يده على كتفه ويضحك ويتأمل "شهد."

- ما هذا هل تُغازل الفتيات في غيابي؟!

نظرت لهم باشمئزاز ورحلت، دفع "هشام" يد صديقه بغضب: ليس كما فهمت .

ثم رحل.

في صباح جديد

وقف "هشام" على باب كلية إعلام، فقد عرف أنها هُنا من اسم الدكتور، وعندما رآها نادى عليها التفتت إليه بتعجب فسار نحوها .

- جئت لأعتذر .

- أعتقد أنه حدث من قبل وقلت حسنًا، أم أنني أهلوس؟!

- لا، أريد أن أعتذر وأتأكد أنكِ لستِ غاضبة .

- غضبي أو عدمه لا يعنيك في شيء .

- بل يعنيني كثيرًا.

نظرت بعدم فهم.

- أقصد أنه يهمني لأني مَنْ أغضبك .

ثم أردف: ثم أنه لا يبدو عليكِ كل هذه الشراسة .

حدقت عينيها بغضب، فأردف: أمزح معكِ.

ابتسمت، فضحك وقال: يا الله أشرقت الشمس بعد طول انتظار.

فاتسعت ضحكتها.

- أتسمحين لي بدعوتك على العشاء؟

حدقت بغضب، فقال: دعوة بنية حسنة أقسم لكِ.

فضحكت مرة أخرى وسارا معًا: يبدو لي أنكَ شخص لطيف ويشعر بالذنب تجاه الآخرين إذا أخطأ، فمَنْ ذلك المتغطرس الذي رأيته في أول لقاء؟!

- لا أتذكر ماذا حدث ولكن يجب ألا تتعاملي معه مرة أخرى.

ثم ضحكا معًا، سألت: ما هي مسرحيتك؟

-" قيس وليلى."

- حان موعد الرحيل .

- سأراكِ غدًا؟

- سأحاول .

- لدي تدريب على العرض غدًا، سأسعد إن أتيتِ .

- حسنًا.

في اليوم التالي

دلفت "شهد" إلى المسرح، كان فارغًا تمامًا، و"هشام" يقف على المسرح مع بعض من فريق عمله يقلب في أوراق المسرحية، ثم انتبه لدخولها فعلا وجهه ابتسامة كبيرة، واعتذر لَمَنْ معه ونزل من المسرح في تجاهها مُتأملًا تسريحة شعرها التي كانت على شكل "قطة"، تبدو طفلة للغاية مع فستانها الطويل بلون البحر وشال أسود يحميها من البرودة.

– هل ستصدقيني إن قلت إنني كنت أشعر أنكِ ستأتين؟

– هممم، لا .

قال بطفولة: حقا؟

ردت بطفولة متبادلة: حقًا .

ثم جذبها من يديها تجاه المسرح وقال لفريقه: هيا.. استراحة، وسنكمل في وقت لاحق .

ثم صعد المسرح ومد يده لها ليساعدها على الصعود.

- هل أحضر لكِ كرسي؟

- لا، أحب أن أجلس هنا .

ثم جلست على أرض المسرح، ابتسم من هيئتها الطفولية .

فقالت: هيا أرني شيئًا من دورك.

- كما تُحبين.

ثم قال بأداء "قيس": وقالوا عنكِ يا "ليلى" سوداء حبشية، ولولا سواد المسك ما انباع غاليًا.

علت فجأة ضحكت "شهد" وملأت المكان، كانت ترن بسبب الفراغ المحيط، نظر "هشام" بعيون ضاحكة متأملًا ضحكتها، ثم جلس القرفضاء جانبها يحدق بها وهي مستمرة بالضحك، حتى هدأت رويدًا وعيناها امتلأت بدموع الضحك وسألت بعدم فهم: لِمَ تحدق بي هكذا؟! ألم تر أحدًا يضحك من قبل؟!

ثم سأل كأنه لم يسمعها: ما هذا؟!

فردت بعدم فهم: ماذا؟!

- ما الذي حدث لي الآن؟!

فردت بعدم فهم أكبر: ماذا؟!

- عندما علت صوت ضحكتك شعرت بشيء ما بداخلي، ثم أشار إلى قلبه وأردف: شيء غريب، أول مرة أشعر بهذا، كأنها شرارة كهرباء أو مغناطيس سحبني دون وعي مني إلى الأرض لأكون بجانبك، أريد أن أكون بجانبك دائما.

تعجبت من نظرته، شعرت برعشة داخلها لا تفسير لها، ثم حدثت قلبها: لا تقع في الحب، فهذا مثير للألم .

ثم قالت بنبرة هادئة حذرة وساخرة: هل أنت ملبوس؟!

ثم ضحكت مرة أخرى، ولازال يحدق بها ولا يفهم بماذا يشعر وعندما هدأت سأل: على ماذا كنتِ تضحكين؟!

- على "قيس"، ما هذا الذي تقوله؟! سوداء حبشية! هل هكذا كان يتغزل بمحبوبته؟!

ثم اعتدلت في جلستها وقالت بنبرة جدية: قل لي ماذا قال أيضًا؟!

- ألا ليت أن الحب يعشق مرة فيعرف ماذا كان بالناس يصنع .

- هذا مقبول، هيا قم وأكمل تدريبك ودعني أتابعك .

- لا، لا أريد أن أتركك، هل تودين التنزه؟

ردت بعناد: لا، يجب أن تُكمل تدريبك .

سحبها من يدها فقامت وأردف: تحبين الآيس كريم شيكولاتة أم فانيليا؟

رفعت شفاهها متعجبة، فقال: حسنا، الاثنين معًا، ولكن...، ثم تفحص جسدها من فوق لأسفل وأردف: ألا ترين أن هذا خطرًا على وزنك؟

ضربته بقبضات يديها بغيظ وصرخت: أيها الحقير، ماذا تقصد؟!

ثم نزل من المسرح بسرعة، وجرى للخارج وهي تجري خلفه وتتوعد له ألا ترحمه، كان ضحكات "هشام" تتعالى وهو يجري وينظر

خلفه عليها ثم اصطدم فجأة بصديقه "هاني"، فرحب به وهو يلهث: أهلًا "هاني"، كيف حالك؟

- بخير، ماذا حدث؟ لِمَ تجري هكذا؟ !

ثم قاطعتهم "شهد" وهي تلهث: سأقتلك يا ..

ثم ابتلعت لسانها خجلًا عندما رأت "هاني" واندفعت ببطء إلى جانب "هشام"، فقال "هاني" وهو يحدق بـ "شهد": لا أريد أن أُعطلكم، سعيد برؤيتكم .

ثم انصرف فاستغلت "شهد" الفرصة ووكزت "هشام" عدة مرات في ذراعِه، وبدأ يصرخ ثم جرى ضاحكًا مرة أخرى وهي خلفه، أما هناك، كانت عينان تُراقبهما بتأنٍ وحذر .

في اليوم التالي

يقف "هشام" في كواليس المسرح مرتديًا ملابسه البدوية، ينظم الأدوار بغضب وعصبية، يتابع أعضاء فريق عمله ولكن عينيه لا تُفارق مدخل الكواليس ينتظر دخول "شهد" بعد أن وعدته أمس أنها ستأتي،

يتصل بها عدة مرات ولكن ما من إجابة، وكل مرة ينتهي الاتصال دون وجود صوتها على الطرف الآخر كان يزيد من توتره وغضبه، حتى دفع هاتفه بقوة على الأرض وصرخ في من حوله ليتركوه وحده، ثم بعد لحظات دخلت إليه "شهد" تلهث من الجري .

- آسفة .

جذبها إلى ذراعيه بقوة كأنه طفل فارق أمه منذ سنوات، ثم ابتعد قليلًا متفحصًا كل جزء في وجهها كأنه يحفظها، ثم جذبها من ذراعها إلى باب المسرح.

- قفي هنا وأنا بالداخل أؤدي العرض، هكذا سأراكِ، لا تبتعدي من هنا، سأفقد عقلي إن فعلتِ هذا ولن أستطيع التركيز وسيفسد كل شيء، وللعلم أنا غاضب وكثيرًا .

ثم دلف إلى الداخل .

كان يؤدي الدور ببراعة وبين الحين والآخر يسرق نظرة من عينيها، أما هي فقد نست "هشام" ولم تر سوى "قيس" المغرم بـ "ليلى"، ثم قال

من صوت "قيس" وهو ينظر "لشهد": "قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم: ما لذة العيش إلا للمجانين"، ثم أكمل الحديث مع "ليلى."

رن هاتف "شهد" فتناولته وابتعدت لتستطيع الرد، وعندما نظر "هشام" لمكانها فلم يجدها بدت عليه علامات التوتر، كان يتلعثم في الحديث تارة ويتصبب جبينه تارة أخرى، كان العرض في دقائقه الأخيرة ولكنها لم تعد، وفي اللحظة التي كان يحيي فيها الجمهور عادت "شهد" لمكانها فترك الجمهور وفريقه وذهب إليها، جذبها من ذراعها واتجه إلى طريق لا تفقهه وتتابع تساؤلاتها وهو لا يجيب.

-" هشام".. إلى أين؟!، "هشام".. ماذا بك؟!، ماذا حدث؟!

ثم دلف إلى غرفة تغيير ملابسه، كانت غرفة غجرية، تضج بالملابس في كل مكان، على الأرض والأريكة وعلى سرير صغير والدولاب البني مفتوح والملابس غير مرتبة، أغلق الباب ونظر لعينيها بشيء لا تفهمه ولكنها تشعر به، كان تشعر أن "هشام" يشبه إفاقة سعيدة من حلم جميل، قال بصوت هادئ كأنه يستنجد بوجودها من شيء غامض: لا أعلم ماذا يحدث؟

ردت بعناد: هل نسيت؟ أنت غاضب مني .

جذبها من يدها وجلسا على الأريكة.

– أعلم ولازلت غاضبًا ولكن هذا شيء ووجودك معي شيء آخر .

ثم أردف بجدية متأملًا إياها: أرجوكِ فسري لي ما يحدث؟

– ماذا يحدث؟!

– شيء ما لا أستطيع وصفه، هو مؤلم ولكنه لذيذ، شيء يثير الخوف ولكن أشعر بالاطمئنان عندما تكونين هنا، لا أعلم ماذا يحدث لي أقسم لكِ، أطمئن عندما أنظر إليكِ فقط، عندما أتفحص ملامحك التي حفظتها بالأصل، أبحث عن ذراعيك بين الناس، لا أستطيع التركيز في شيء وأنتِ بعيدة، وعندما تأتين أشعر كأني بطل حمل الأثقال، ما الذي يحدث؟!، ما هذا؟!

ظلت صامتة للحظات تستوعب ما قاله، ثم اعتدلت ونامت على قدمه واضعة رأسها على فخذه، ثم جذبت ذراعه وضمتها، كان لا يفهم

ما الذي تفعله ولكنه أحب ذلك وبدأ يداعب خصلات شعرها بيده الأخرى حتى ردت هي: هل قلت إني أحبك؟

شعر بنبضه يرتعش وكأنها قالتها بالفعل: لا .

- هل قلت إنكَ تُحبني؟

قالتها وتمنت أن يقولها بالفعل .

- لا .

شعرت بخيبة أمل، فهناك أشياء على الرغم من خوفنا منها إلا أننا نتمناها، ثم نظرت لنقطة ما بعيدة غير موجودة مواسية نفسها: جيد، إذن فنحن أصدقاء .

رد بخيبة أمل متبادلة لا يفهم سببها: نعم، أصدقاء .

ثم سند رأسه على الحائط وهي لازالت نائمة وتضم ذراعه وأردف كأنه يحدث شخصًا غير موجود: متى يُشفى منكِ الفؤاد المُعذب، وسهم المنايا من وصالكِ أقرب، فبُعد ووحدة واشتياق ورجفة، فلا أنتِ تدنيني ولا أنا أقرب .

- كانت من "قيس"لـ "ليلى" أيضا، أليس كذلك؟

- نعم، هل قيس قبل أن يُجن بحُب "ليلى" كان يعلم أنه يحبها، أم تفاجأ في يوم عندما استيقظ أنه لا يريد سواها؟!

لم تُجب، ظل كلا منهما يحاول تفسير ما يحدث حتى قطع تفكيرهما طرقات الباب، فتحته "شهد"، فوجدته "هاني"، نظر لها بشيء من التعجب ثم سأل: ماذا تفعلين هنا؟! إنها غرفة "هشام!"

- نعم، إنه بالداخل .

اعتلته الدهشة من هذه البساطة التي تتحدث بها، كأنه طبيعي أن تكون في غرفته ومعه، ثم أردف: أخبريه أننا سنرحل، هل سيأتي معنا أم سيغادر وحده؟

- سيغادر معي.

دُهش مرة أخرى ثم رحل دون أن ينطق ببنت كلمة، أغلقت الباب وقالت والخيبة تعتلي وجهها: سأنتظرك بالخارج، غيِّر ملابسك بسرعة.

هز رأسه موافقًا، وخرجت "شهد" وأغلقت الباب خلفها، بعد دقائق خرج "هشام" في اتجاه "شهد" التي وقفت على أول الشارع، كان الشارع مزدحمًا إلى حد ما ومزعجًا للغاية، أصوات "الكلاكسات" تعلو في المكان، ثم فجأة جاءت سيارة مسرعة صدمت "هشام"، وقع على الأرض والدماء تنزف من رأسه وأنفه وفمه، جرت "شهد" صارخة تضمه وتطلب الإسعاف وتقول ببكاء شديد: "هشام" لا ترحل، لا تتركني وحدي هنا، هيا استيقظ يا "هشام."

ثم لم تشعر بشيء بعد ذلك إلا بعد ساعات عديدة عندما وقفت أمام الطبيب متشبثة بأي أمل ولكنه خذلها .

– آسف .

ثم وضع أحدهم يده على ذراعها وأفاقت من شرودها، مد يده لها لتقوم من على الأرض، كان "هاني"، مد يده بالمنديل ومسح دموعها.

– البقاء لله .

زادت بكائها .

- لقد رحل يا "هاني."

- هل أحببته؟

- لم أقصد، حاولت ألا أفعل، ولكني أحببته .

كانت عيناه سعيدة غير متألمة، بل فخورة بما فعله فهو من قتل "هشام" لينقذ حبه من الضياع، كان يشعر بلذة الانتصار، يحدث نفسه: الآن هي معي أنا، لا يهم أحبته أم لا، الأهم ستكون لَمَنْ؟!

* * *

بعد عامين

فُتحت ستائر المسرح وخرج "هاني" و"شهد" للجمهور ممسكين بأيدي بعضهما، عَلَىَ صوت التصفيق والتصفير والهتافات في المكان، كان في الخلف معلق صورة "هاني" و"شهد" باسم مسرحية "قيس" و"ليلى" التي قُدمت منذ قليل، كانت عينا "شهد" و"هاني" تخطف نظرات لبعضها البعض بين الحين والآخر، ثم أرسلت "شهد" قبلة للجمهور، ورحلت هي و"هاني" قائلة: أعطني الدبلة .

- يجب أن نشتري واحدة جديدة.

- أتمنى، فهذه ضيقة وتؤلمني كثيرًا بين الحين والآخر، أعتقد أن وزني زاد .

جذبها إليه: وإن كنتِ مثل الفيل، أحبك أيضًا .

فتذكرت "هشام" وابتسمت ثم وضعت قبلة على وجنة "هاني."

- وأنا أيضًا

نظر لعينيها: قالوا لو تشاء سلوت عنها، فقلت لهم فإني لا أشاء .

ثم أدخل الدبلة في يدها اليسرى في إصبع البنصر، وابتسمت لزوجها.. "هاني ."

رجعت الشتوية

في إحدى شوارع القاهرة، صوت الرياح شديد، الأتربة تملأ الهواء، الليل يسود المكان، القمر بازغ في السماء، الناس يرحون ذهابًا وإيابًا، هناك تقف تلك الجميلة أمام عمارة مُكونة من اثنى عشر طابقًا، ترتدي تنورتها الفضفاضة باللون الأسود تُجسم خصرها النحيف، وبلوزة باللون "النبِيتي" تكشف عن ذراعيها، شعرها الأسود الطويل يصل إلى نصف ظهرها يرقص على نغمات الرياح، عينيها السوداء الصغيرة مُكحلة وشفاه حمراء، تُشاوِر إلى إحدى السيارات التي ترفع شعار "تاكسي"، ولكن هيهات أن يقف أحدهم في هذا الجو المُرعب، كلا يجري لـيحتمي بسقف منزله، حتى وقف "تاكسي" باللون الأبيض أمامها فـ ركبت "شهد" بسرعة بـالمقعد الخلفي وقالت: كورنيش النيل مِن فضلك .

نظر إليها السائق بتعجب ففهمت أنه يريد قول الكورنيش في هذا الجو؟

لاحظت "شهد" ملابسه الغريبة التي لا تناسب سائق سيارة أجرة، يرتدي بنطال بدلة باللون الأسود وقميصًا أبيض لامعًا ذا أكمام طويلة، شعره أسود مُرتب لامع، وبشرته سمراء .

انطلق السائق في طريقه وأغلق نوافذ السيارة لـيحتميا من التراب .

ساد الصمت قليلًا ثم قام "هشام" بفتح الراديو، فـ جاء صوت فيروز، فـابتسمت "شهد" ونظرت إلى الشارع، وأسندت رأسها على الشباك، ويُطربها صوتها، وكان "هِشام" يُغني معها باندماج ويُحرك أصابعه على "الدركسيون" في حركات موسيقية: "رجعت الشتوية، ضل افتكر فيَّ، يا حبيبي الهوى مشاوير، وقصص الهوى مثل العصافير ."

نظرت إليه "شهد" دون أن يلمح ذلك .

"لا تحزن يا حبيبي إذا طارت العصافير، وغنية منسية ع دراج السهرية ."

- هل يمكنك الوقوف؟

- لِمَ؟

- أرجوك قِف .

- أنا آسف بالتأكيد أزعجتك .

- قِف إذا سمحت .

توقف "هِشام" على إحدى النواصي فـ نزلت "شهد" من السيارة وجلست بـالكرسي الأمامي بجانبه، ظل "هِشام" يرمقها بنظرات تعجب وعدم فهم .

- أرجوك أغلق الراديو .

أغلقه دون فهم كـأنه أصبح "ريبوت" يُنفذ ما يُؤمر بِه فقط .

- والآن هيا انطلق، وأرجوك استكمل ما كنت تغنيه.

انطلق في طريقه وهو يرمقها بين الحين والآخر ويردد في نفسه: بالتأكيد هي مجنونة أو ثمة خطأ في عقلها ويجب طاعتها وإلا قتلتني أو دفعتني خارج السيارة .

- أنا لست مجنونة كما تعتقد .

رد في نفسه: لُطفك يالله، ما هذا! وساحرة أيضًا؟!

استكملت هي كلامها: كل ما في الأمر أن صوتك رائع، لذلك أردت المكوث بجانبك لأراك وأنت تندمج مع الأغنية فأرجوك غني .

هز رأسه بأنه فهم، واستكمل الغناء: "رجعت الشتوية، ضل افتكر فيَّ، يا حبيبي الهوى غلاب، عجل ونهى السنة ورا الباب، شتوية وضجر وليل، وأنا عم بنطر على الباب، ولو فيَّ يا عينيَّ خبيتك بعينيَّ ."

وصلا إلى الكورنيش فنزلت من السيارة .

- هيا انزل .

- ماذا؟!

- انزل أرجوك .

نظر إليها بتعجب ورفع كتفيه بعد فهم: لِمَ؟

- اجلس معي قليلًا، ثم ارحل، وسـأعوضك ماديًا عن هذا الوقت .

نزل من سيارته وأغلقها، بدا أكثر جاذبية، إن رأيته لأول مرة لاعتقدت أنه رجل أعمال، بدا طويلًا عريضًا وسيمًا .

- لا أحتاج إلى تعويض كل ما في الأمر أني لا أفهم ماذا تريدين مني؟

قالت وهي تستدير وتذهب ناحية سور الكورنيش الذي يَطُل على النيل: لا شيء سوى أن تقص لي مَنْ أنت؟

رد دون أن يتحرك من مكانه: وفيمَ يفيدك هذا؟

نظرت إليه ورفعت كتفيها بلامبالاة: لا شيء، مجرد فضول .

قال وهو متجه إلى باب سيارته: ليس لدي وقت لهذا الجنان.

جرت نحوه وقالت: أرجوك .

نظر لها لحظة ثم ابتسم، فابتسمت بشدة حتى أغلقت تلك العينين الصغيرتين، ذهبا معًا وجلسا على الكورنيش .

- مَنْ أنت؟

- هِشام.

- مَنْ هو هِشام؟ أنتَ غريب تُغني وصوتك رائع، سائق تاكسي، ملابسك وهيئتك لا تدل على ذلك أبدًا، أنتَ غامض .

- لا غموض في ذلك، أنا هِشام 27 عامًا مُهندس بترول، أحب الغناء، لدي غدًا اختبار في مسابقة للـغناء في شركة إنتاج يُدعى صاحبها "عادل حمدي ."

قاطعته بدهشة وسعادة: إنه والدي .

- تمزحين؟

- لا، أقسم لك، وهذا ما جعلني أُصمّم أن تجلس معي الآن، كنت أريد أن أنصحك لـلتقديم في هذه المسابقة، لقد وفرت عليّ الكثير من محاولات إقناعك للتسجيل بها.

ضحك ثم قال: إذن يجب أن أعتذر منكِ .

- على ماذا؟

- على سوء ظني بكِ، لقد خُيّل إليّ أنكِ مجنونة ثم ساحرة .

ضحكت ثم قالت: أعلم، أي شخص في مكانك سيتوقع ذلك، ولكن بما أنكَ مُهندس، لِمَ تعمل سائقًا؟

- لأني غدًا لن أستطيع الذهاب إلى العمل بسبب المسابقة، فأخذت سيارة صديقي للعمل عليها اليوم بعد أن انتهيت من عمل شركة البترول؛ لأُوفر بعض المال الذي سيُخصم مني .

قامت بالتصفيق له تحية على ذكائه، ثم قالت: يجب أن تغني غدًا أغنية فيروز.

- بالفعل أنا أتدرب عليها منذ فترة .

- جيد .

أخرجت بعض النقود من محفظتها، وقدمتها له: الحساب .

اقترب منها وهمس في أذنها: أنا مَنْ يجب أن يدفع حساب الجلوس على الكورنيش مع أميرة جميلة مثلكِ.

ظلت واقفه مكانها تُحاول تفسير تلك الجملة المُبهمة ولكن لم تستطع، فقالت: ماذا تقصد؟

اقترب أكثر ونظر لعينيها مباشرًة ثم قال: تُشبهين السندريلا، تلك التي سرقت قلب العندليب، مرحها، رقتها، ودلالها، إغلاق عينيها الصغيرتين وهي تضحك، حتى تلك النظرات الطفولية العنيفة التي تشبه الطلقة، ما إن تطلقها، حتى تُصيب قلب العدو .

ثم مسح على وجنتها بـأنامله: أراكِ غدًا أيتها السندريلا.

ثم رحل وأخذ شيئًا ما معه، هل صوتها أم روحها، هي حتى لا تستطيع التحرك من مكانها .

في مساء اليوم التالي

قاعه كبيرة ملونة بالدهان الأبيض تنقسم إلى جزئين، جزء المسرح، وهو خاص بـالمتسابقين لـتقديم ما تقدمه حنجرتهم الذهبية، يُزينها ستائر باللون "النبِيتي"، والجزء الآخر الخاص بـمُقيّمين ذلك الغناء، يحتوي على أربعة كراسي ومكتب طويل، تجلس "شهد" على كرسي مرتدية فستانًا باللون الفضي طويلًا لامعًا، يُجسدها، يخفي ذراعيها، مفتوح من الظهر حتى الخصر في شكل"V" ، مفتوح من ناحية القدم

اليسرى حتى الركبة، تركت شعرها مُسترسلًا، تسأل أبيها بين الدقيقة والأخرى متى سيبدأ الاختبار فيجيبها "بعد قليل"، كان التوتر والقلق يظهر على وجهها، حتى أعلن المقدم عن بدأ الاختبار، بدأ التناوب بين المتقدمين، لم تُركز مع صوتهم بتاتًا، بل كانت تُركز مع رد فعل أبيها تتمنى ألا يعجبه أحدًا منهم، حتى دخل "هِشام" بدأت دقات قلبها تتصارع مع بعضها البعض، كانت عيناه متشبثة بها، ثم بدأ في الغناء وهو ينظر إليها كأنه يقول "إنها لكِ."

"كامل الأوصاف فتني، والعيون السود خدوني، من هواهم رحت أغني، آه ياليلي آه يا عين، العيون السود، رموشهم ليل، ليل بيحلم بـالليلي غايب، العيون السود خدوني آه يا قلبي، آه يا قلبي ياللي دايب، علموك تسهر تغني، علموك شوق الحبايب، ليه يا قلبي ليه، ليه خدوني ليه، توهوني غربوني، العيون السود."

كانت تنظر له بتعجب وعِتاب أن "ليست هذه ما اتفقنا عليها"، فهو لم يتدرب على هذه كثيرًا وتخشى أن يخطئ، أما هو فكان يكمل الغناء بثقة ولم تنزل عيناه من عليها .

"قالوا الصبر بحوره بعيدة، بعيدة بعيدة، قالوا شفايفه نيات بتقول تنهيدة، وسهرت أستنى، والنجم معايا، دوبني ودوبنا، في عيون نسّايه نسّايه، ليه يا قلبي ليه، ليه خدوني ليه، توهوني غربوني، العيون السود، ليه خدوني."

قام الحاضرون بالتصفيق له ودخل إلى "الكواليس" فقامت "شهد" ودخلت وراءه، وقالت بعتاب: لِمَ فعلت ذلك؟

- لِمَ أنتِ فعلتِ ذلك؟

بغضب: أنا! ماذا فعلت؟!

- لم تُخبريني أنكِ جميلة إلى هذا الحد، كدت أن أتوه فيكِ وأفقد عقلي وأخطئ.

- بل كدت أن تُخطئ لأنك خَلفت الاتفاق وغيرت الأغنية .

- لأني لَم آتي اليوم لأغني وأفوز بل جئت لأغني لكِ، ثم كيف يحدث هذا؟

- ماذا حدث؟

– كيف لا أعرف اسمكِ حتى الآن، كنت أريد أن أسأل عنكِ عندما جئت ولكن اكتشفت أني لا أعرف اسمك .

قالت دون أن تضحك: شهد .

– جميل .

نظرت له بغضب، فقال: سعيد لأني قابلتك ليلا، فهو يشبهك كثيرًا، كهدوء الليل وأنتِ غاضبة من الخارج، أما من الداخل كتلك الضجة التي تملأ العقول في الليل، وأيضًا كنسمة الهواء البارد التي أنتظرها كل ليلة لـتُداعبني.

ابتسمت ثم قالت: أتمنى أن تفوز.

– بعد تلك الإبتسامة فـبالتأكيد أنا فوزت بالفعل .

ابتسمت مرة أخرى، ثم جاء صوت المقدم من الداخل يهتف باسم الفائز ولم يختلف عن الذي فاز منذ قليل، وكانت "شهد" تصرخ بسعادة وتضرب الأرض بـقدميها كـالأطفال وهو يضحك ويتأملها .

أهواك بلا أمل

"ستموت قريبًا".. ماذا ستكون ردة فعلك إذا قال لكَ أحدهم ذلك؟ أو ماذا ستفعل؟ هل ستحاول التكفير عن ذنوبك؟ أم ستزيد عددها بحجة التمتع بما تبقى لك في الحياة؟ أم ستقتل نفسك للتخلص من عذاب ورهبة الانتظار؟

أنا "شهد" لقد قالها لي أحدهم، لم يقلها صراحًة ولكن عينيه كانت كافية لنطقها، أنا أعاني من مرض نادر يسمى "التسمم السجقي"، لقد وصلت إلى آخر مرحلة وهي "الشلل"، نعم، أنا الآن عاجزة، أجلس على كرسي معدني متحرك، صاحبة وجه شاحب منسدل كـعجوز في العقد السابع، على الرغم من أني في الخامسة والثلاثين من عُمري، أكره أن أنظر في المرآة ولو بالصدفة، هل تشفق عليّ؟!، ولكني سعيدة، نعم، لا تتعجب يا عزيزي، هذا هو عقابي من الله في الدنيا، أشعر بالرضا أملًا في أن يعفو عني في الآخرة، هل رأيت إبليس يومًا؟ لا أعتقد ذلك،

ولكني كنت أراه كل يوم في المرآة، كنت أُجسدُه، كنت إبليس في صورة فتاة حسناء جذابة لا يستطيع أحد مقاومة جمالها ولا حتى إبليس ذاته .

كنت أنا تلك الفتاة التي لا تُعاب، شعر أسود طويل مسترسل، جسد ناعم، بيضاء البشرة، خالية من أي دهون أو شوائب، عينان زرقاوتان أجمل من البحر، ماذا تحتاج أكثر من ذلك لتقع في غرامي من الوهلة الأولى؟!

كنت أحافظ على جمالي فقط من أجل الشر والتمتع، في كل علاقات الصداقة ستجد واحدة تستمتع بتدمير كل شيء جميل، ولا يكتشف حقيقتها أحد إلا مع مرور الوقت، وبين العلاقات العاطفية ستجد علاقة تكون الفتاة بها هي الطرف الخائن الكاذب، كنت أنا أجسد تلك الفتاة في كل العلاقات، أنغمس في العلاقات ببطء دون أن يشعر أحد بشيء غريب، ثم أدمر كل شيء وأظهر أنا في صورة الفتاة البريئة التي لا تفقه شيء مما يحدث .

في طفولتي كنت فتاة متفوقة، ولكن في وقت ما بدأت أهمل دراستي، فـوبختني معلمتي خوفًا عليّ، ففركت الطباشير ووضعته في شايها واتهمت صديقتي التي قالت عنها المدرسة إنها متفوقة أكثر مني، إنها هي التي فعلت وأني رأيتها بنفسي، وحُرمت الفتاة من حصص الترفيه .

في الثانوية كنت مُعجبة بُمدرسي، ولكنه كان يعاملني كـطفلة، كيف يجرؤ هذا التافه على معاملتي هكذا؟!، حاولت لفت انتباهه بشتى الطرق ولكنه لم ينتبه إليّ، على الرغم من كوني الفتاة التي يتسابق كل زملائها الأولاد على مصادقتها، أو أن ينال أحدهم شرف التحدث معها والتي تغار منها الفتيات، فـقمت بادعاء أنه يغازلني وجاء أبي إلى المدرسة ليشكوه وتم رفده.

في يومٍ ما كان هناك فتى يحاول التودد إليّ ومحادثتي وأنا في طريقي إلى المدرسة، وكنت أسايره وأستجيب إليه بابتسامات ونظرات وغمزات، ثم رآهُ أحد أقاربي، وسألني: "هل يضايقك هذا الشاب؟"

فأجبته مُدعية الحزن والخوف: "نعم ."

فـضربه وقام الفتى مهرولًا متجهًا إلى الطريق ثم صدمته سيارتان، ظل الفتى بين العملية والأخرى، بعد أسبوع علمت أنه أصيب بالشلل، والآن بالتأكيد علمت ذنب مَنْ الذي بسببه شُلت قدماي .

ذات مرة كانت إحدى صديقاتي في الجامعة مخطوبة لشاب وسيم ذي مكانة راقية، كان عيبه الوحيد أنه مغرور، كيف لا ينظر إليّ؟ كيف يسلم عليّ ثم يبعد نظره عني بسهولة كأني فتاة عادية؟! كيف لم يتغزل بي؟! كيف لا يتأملني ويتفحصني؟!

بقيت أفكر في طريقة لإيقاعه في شباكي، لست أنا تلك الفتاة التي تقبل بألا يتغزل بها الرجال، ولم يأخذ وقتًا طويلًا مني، لم يكن الأمر صعبًا عليّ كما تتوقع، أصبح الشاب مُتيمًا بي، يكرر طلب الزواج مني حتى طلبت منه أن يخبر صديقتي أنه لا يحبها وأنه يحبني أنا وبالفعل قام بذلك، وثم؟.. ثم تركته ورفضت الزواج به .

حتى قابلت "هشام" في النادي، كان مظهره جديدًا، لم أره من قبل أنا أعرف جميع شباب ورجال النادي، لقد مرّ عليّ الجميع بكلمات الغزل

والحب، أما هو لم أرهُ من قبل، أتذكر جيدًا تفاصيل هذا اليوم، كان يجلس في إستاد النادي على الرغم من عدم وجود مباراة، جلست بجانبه ولكنه لم يلتفت، بدأت أصفف شعري يمينًا ويسارًا ولكنه لم يُبد أي رد فعل، ويتفحص هاتفه بتمعُن وها أنا مرة أخرى مع شخص يحاول التظاهر بالتجاهل، فكرت أن أبدأ أنا بالحديث فسألت: "كم الساعة؟"

فأجاب: "السابعة ."

وصمت، بعد نصف ساعة من المحاولات قام ورحل، رحل هكذا بكل سهولة؟!، نعم رحل، بدأت أذهب إلي النادى كل يوم أقضي ساعات أبحث عنه في كل مكان، أجلس طويلًا في الإستاد أنتظره ولكنه لا يأتي، لا أعلم ماذا حدث لي، ولكني بتُ أفكر فيه بطريقةٍ ما، ليس كما كنت أفكر بالجميع، لِمَ أشعر أنه فعلًا لا يتظاهر بالتجاهل؟!، لِمَ لم يأت إلى النادي مرة أخرى؟!، ماذا لو لم يكن عضوًا في النادي؟!، كيف سأصل إليه مرة أخرى؟!

بدأ عقلي في الصراخ والنداء والتساؤل، ثم حنَّ عليّ القدر وجمعنا ورأيته مرة أخرى، هذه المرة قررت ألا أرحل قبل أن أحصل على رقم هاتفه، ولكن كيف؟ حاولت استدراكه في الحديث فسألت: كيف حالك؟

نظر لي بتعجب .

- بخير .

ثم نظر لهاتفه، كان يشعرني بأني فتاة مملة، ابتسمت وقلت: أنا التي سألتك عن الساعة من قبل.

- لا أتذكر، وعلى كلٍ.. أهلًا بكِ .

ثم قام ليرحل، فسألته: هل يمكن أن أحصل على رقم هاتفك لنتقابل مرة أخرى؟

أجاب ببرود: اتركيها للنصيب .

ورحل، يا إلهي وما أدراني إن كان النصيب سيجمعنا مرة أخرى أم لا!

وبدأت مرة أخرى أبحث عنه وأنتظره ولا يأتي، أصبحت رأسي كصندوق ملئ بالثعابين تنشر سمها في كل فكرة، صندوق مزعج، أفكار وإزعاج وضجة، ضجة عالية لا يسمعها غيري، كم هذا مؤلم!، أشعر أني أريد نزعها من مكانها وتحطيمها، إنه ألم لا يكُف عن النبض، ألم تدب فيها الروح كل ثانية، لِمَ لا يصمُت هذا الضجيج؟!، يا إلهي فبحقك انجدني، ماذا؟! هل قلت يا إلهي؟! هل أنا أستعين بالله؟! إنها أول مرة بحياتي أذكر الله فيها بحق؟ هذه أول مرة أذكر الله بصدق ليس لإدعاء البراءة، ماذا فعلت بي أيها المحبوب الغريب البعيد؟!

بعد فترة من الغياب المستمر، وبعد فترة وأنا كل يوم أجلس بالساعات في انتظاره ولا يأتي، وأظل أفكر في "فيروز" وهي تتألم قائلة: "أهواك بلا أمل، في السهرة أنتظر ويطول بي السهر، فيسألني القمر يا حلوة ما الخبر، فأجيبه والقلب قد تيمه الحب يا بدر أنا السبب، آه أحببت بلا أمل."

ثم عاد محبوبي، وجدته في المكان المعتاد، تجلس جانبه إحدى الفتيات، لم تكن أجمل مني ولكنها كانت أقوى، أقوى إلى حد أنه كان

يمسك يديها، يهمس في أذنيها وهي تضحك، يُقبّل عينيها بنظرات عاشقة، كانت ترتدي دبلة وسلسلة محفور عليها اسم "هشام" وهو أيضا يرتدي دبلة وسلسلة محفور عليها اسم "هند"، كيف فعلت هذا؟! بل كيف تجرأت؟! ليست أنا التي يرفضها شخص وليس أي شخص بل أحببته، كيف يسري حبه في شرياني وهو يرفض هذا الحب؟!، ألا يشعر بقيمة ما وصل إليه؟! كثير من الشباب والرجال يحلمون بالوصول إلى هذه الدرجة من الشرف ويبذلون أقصى الجهد والمحاولات، ثم أفقت من شرودي وقلت له: أهلًا، كيف حالك؟

رد بسعادة: بخير، أقدم لكِ خطيبتي .

ابتسمت لـتلك الحرباء بمرارة، وبعد الحديث عن قصة حبهما المثيرة إلى الاشمئزاز تركتهما ورحلت، رحلت وأنا مقررة الانتقام من تلك الحرباء، ولكن، هي لم تعلم أني أحبه وهو أيضًا فـلِمَ الانتقام؟!

ثم أجيب على عقلي: عذر أقبح من ذنب، كيف له ألا يشعر بحبي، وهي.. ألم تشعر اليوم بحبي له؟

بعد أيام قمت بالاتفاق مع عدد من الشباب الذين يتمنون مساعدتي بالاعتداء على تلك الفتاة بالضرب، ثم هددوها إما الابتعاد عنه أو الاعتداء عليها يوميًا، ثم نفذت "هند" الأمر وفطرت الحرباء قلب المسكين، بل وأيضًا حصلتُ على رقم هاتفه منها، وجاء هنا دوري أن أعوضه عما حدث لقلبه، كنت أُحادثه طوال الوقت لإشغال عقله وقلبه عن التفكير بها، بدأت العلاقة بيننا، حديث كثير مني وقليل منه، ثم تطورت إلى صداقة بدائية، ثم صداقة حميمة، وفي يوم مشرق قررت أني سأتزوج من "هشام" الشهر المقبل، يجب أن يتوقف هذا الأحمق عن معاملتي كصديقة، فاصطنعت شجار لسبب مزيف، ثم أغلقت الهاتف في وجهه، وأرسلت له رسالة نصية:

"إلى عزيزي الذي لا عزيز له ..

أتريد أن ترحل؟ ارحل فأنا لا أبالي بذلك ولا أهتم، ولكن قبل أن تفعل أعد إليَّ شوقي واشتياقي، أنا أكذب وكاذبة فاشلة، أنا أبالي جدا، الى الحد الذي يجعلني أتصل بك ليلا باكية راجية منك ألا ترحل، ثم

ألعن نفسي ألف مرة لم أفعل بنفسي هذا؟ لمَ أقلل من نفسي من أجل أبله تافه لا يفقه المشاعر مثلك ويحتسبها ضعفا؟ لمَ لا تفقه أيها الغبي أنه ليس ضعفا بل عشقا وصل حد السماء؟

أنا أكذب مرة أخرى، نعم إنه ضعف، ضعيفة بك، فقلبي هش دونك ومعك .

أتساءل لمَ لا تفهم أن الرحيل سهل ولكني لا أريد الأمور السهلة دونك، أريد المعاناة معك، أريد الكفاح معك، أريد أن أتحمل ليالي الشوق والعذاب وأتذوق عذوبتها معك .

أعترف أنك إن رحلت سأتألم يوما، يومان، دهرا، ولكن الإنسان يتعود على برودة المياه بعد فترة يا عزيزي، فبحق الإله لا ترحل حتى وإن كنت سأعتاد".

وبعد هذه الرسالة أغلقت هاتفي لمدة أسبوعين، وكان يبحث عني في كل مكان، يذهب إلى النادي ينتظرني لعلي آتي، يسأل أصدقائي عني، يأتي إلى البيت كل يوم ويطرق على بابي آلاف الدقات كأن قلبه هو الذي

يطرق، كنت أقصد أن أجعل قلبه يذوب شوقا لي، وبعد مرور الأسبوعين فتحت هاتفي وظل يتصل مرات عديدة وأنا لا أجيب، حتى أرسل لي رسالة نصية قائلًا :

"إلي عزيزتي البعيدة ..

ليست فقط الأيام هي التي تتشابه، بل أصبح الأمر أكثر رتابة، الأحاديث، الأحداث، الأخبار والتقارير، الشكاوى والحكايات، الردود والنصائح، هل تصدقي؟ حتى النكات تتشابه، كل شيء يتكرر بنفس الأسلوب والمشاعر، حتى حياتي لم يدخلها أُناس جُدد منذ رحيلك، ولكن.. أتعلمين؟ أنتِ الشيء الوحيد الذي لا ينضم إلى هذه القائمة المُملّة، كُل مرة أُحادثك كأنها المرة الأولى، كل مرة تقولي كيف حالك؟ قلبي يكاد يتمرد على صدري ليخرج منه، كل مرة أراكِ كأنها للمرة الأولى، يا لابتسامتك التي أراقبها، تجعل ارتجافة جديدة تسري في جسدي، لا، ليس جسدي فقط، بل تسري في الكون بأكمله، كان البارودي مُحقًا يا جميلتي "أليسَ العِشق سُلطانًا له الأكوانِ ترتجفُ، فـإذا

كَان الهَوى خصمي فـقُل لي كيفَ أنتصفُ؟!"، فماذا إذا كُنتِ أنتِ عشقي وسلطاني وكوني وهوايَ؟!، لعل بعد كل هذا الصبر يكون اللقاء بداية الغرام ."

فذهبت إلى النادي وأنا في كامل توهجي، فوجدته ينتظرني في مكاننا المعهود، وعندما رآني من بعيد أضاء وجهه مبتهجًا، يا لطفولته! ثم ركع أمامي وفتح علبة قطيفة بها خاتم ألماس، يا له من تقليدي ممل، يتضح أنه يشاهد الأفلام الكلاسيكية كثيرا، لا يهم، في النهاية فعلت ما أريد، وبالفعل تزوجنا .

ولكنه كان زوجًا مثاليًا جدًا، والعجيب، أن هذا أكثر ما كنت أكرهه!

وثم؟

ثم بعد عامين طلبت الطلاق بإلحاح والحقيقة أنه أرهقني حتى وافق، وبعد فترة كنت زوجة ابن عمه الوسيم الذي سبق وزارنا أكثر من مرة في منزلنا، في الحقيقة، كان يعجبني منذ أن رأيته أول مرة في حفلة

زفافي على "هشام"، شاب غني، وسيم، لطيف، مرح، وجرئ، ماذا تريد أي فتاة أكثر من هذا لتنجذب لأحدهم؟!

حدث هذا الانجذاب دون قصد، حقا ليس خطأي، ثم مات ابن عمه في حادث، وذلك الزوج السابق المثالي؟

ظل المثالي كما هو.

مثالي!

يطمئن عليّ بين الحين والآخر، ثم طلب أن أعود إليه ذات مرة قائلا: يا سيدتي، أنا شخص يعاني من الأرق منذ فراقنا، فأنا كالمدمن اعتدت النوم على أنفاسك، ثم منع المخدر فجأة، أقسم أني أحيانا لا أنام باليومين، وأقسم أيضا أني أصبحت لا أنام أكثر من ثلاث أو أربع ساعات في اليوم الواحد وهذا بعد حرب عنيفة مع الأرق، فعزائي الوحيد هو أن للفراق نهاية وللقاء موعد، والزمن سيعبر بي إليك .

بالفعل وافقت وفعلا كان الأرق واضحًا عليه، أنا حقا مشفقة عليه، وفي يوم جلسنا معًا في شرفتنا، نظراته كانت بين الحين والآخر تلومني

على تركي له، أذكر ذلك اليوم جيدًا، كان يحتسى الشاي، ثم ترك الكوب فجأة ونظر بعيون دامعة إليّ قائلًا: سأقص عليكِ حكاية .

ثم أردف: "يجري في صحراء خالية من أي تفاصيل أو أُناس، صوت أنفاسه يعلو وصدره يكاد يُخترَق من شدة الشهيق والزفير، كأنه نسىَ ماذا أتي به إلى هنا وما هدف عدوه؟! كان يلتفت يمينًا ويسارًا لعل يأتي مُنجيا له، فجأة، لمح طيف أمل من بعيد، صرخ ولاح بيديه ليروه، ثم اقترب منهما، كانت هي مع شخص آخر، كثيرًا ما يتم خِداعُنا، نحسبه أملًا وهو خنجرٍ مسموم، ثم فجأة، استيقظ في غرفة مظلمة مفزوعًا، كان كابوسًا مُريعًا، صدره يعلو ويهبط مرة أخرى، ولكن هذه المرة كان ألمًا حقيقيًا، ألم أشبه بتمزيق القلب إربًا، ليتهُ يُشبه ألم الكابوس، على الأقل حتمًا سينتهي، احتسى كوبًا من الماء وهدأ قليلًا، أضاء النور فظهرت غرفة لو رأيتها حسبتها غرفة مجذوم، غرفة ذات حوائط زرقاء كُتب عليها "هي لا تُحبني، هي تُحبُه"، "هي لا تريدني، هي تريده"، لم يكن كابوسًا مئة بالمئة، كان يحتوي على جزء من الحقيقة، فقد رآها معه فعلًا، جلس أمام الحائط وبدأ يتحسس العبارات ثم نزلت قطرات ألم

من عينيه ومسك القلم وظل يكتب بغضب "ليتكِ لم تقتربي، ليتكِ لم ترحلي، وليتكِ تعودين ."

لم أفهم شيء وسألته: ماذا تريد أن تقول؟

ولكنه لم يجب، كأنه في عالم آخر، منذ بدأ بقص هذه الحكاية وأنا أشعر كأنه ليس هنا، حقيقة منذ أن تركته وأنا أشعر أنه غير طبيعي، ثم فجأة تذكرت تلك الغرفة المغلقة، منذ أن عدت إليه وهو يرفض دخولي هذه الغرفة، صعدت بسرعة إليها وكسرت القفل، أضأت النور، فصعقت، يا إلهي إنها الغرفة التي حكى عنها، ماذا يحدث لك يا "هشام"؟!

ثم هبطت إليه بسرعة مرة أخرى، فلم أجده في مكانه، بحثت عنه في الغرف ولكن لا أثر له، فدخلت إلى المطبخ ووجدته على الأرض، ممزقًا لعروقه، ولك أن تتخيل ماذا حدث بعدها.. فقد رحل "هشام"، لا أنكر أني أحببته، بل هو الشخص الوحيد الذي أحببته من الأساس من بين كل تلك الرجال الذين عرفتهم، وحقيقة كنت أشتاق إليه كثيرًا، ولكنه كان مُملًا، تقليديًا، مثاليًا، عاطفيًا وحنونًا .

هل رأيت زهرة الغاب؟ إنها زهرة غاية الجمال، تجذبك تمتعك بالنظر إليها وبمجرد الاقتراب منها يُصيبك سُمها الخاص، تُمثلني كثيرا، أليس كذلك؟

كُلما أحبني أحد واقترب مني، أسري في عروقه ودمائه وجسده كـالسم، أدمر خلاياه وحياته ثم أرحل، بل أنا أكثر شرًا، على الأقل السم يسري في الجسد، يتألم قليلًا، ثم يموت الشخص ويرتاح، أما أنا أدمر القلب والعقل والروح ثم أذهب ويظل الإنسان حيًا ميتًا دوني.

مات "هشام"، ومُت، نعم مُت أنا أيضًا، وولدت امرأة جديدة في العقد الثالث من عمرها، مات محبوبي وبدأت أُسدد كل الديون التي كانت عليّ، مرضٍ واحد من الله كان كافيًا لتسديد كل الديون، صرفت كل أموالي على العلاج وأصبحت فقيرة وعاجزة، ولأول مرة في حياتي أعترف أني أصبحتُ قبيحة، على الرغم من أني قبيحة منذ أن ولدت، القبح ليس الشكل الخارجي فقط، بل القبيح قبيح القلب والروح، لم يستطع إنسان واحد في هذه الحياة على كسري وهزيمة جمالي وأنوثتي،

وحده الله رب العالمين خالقي وخالق جمالي هو الذي قهرني، كنت أسلّح نفسي دائمًا بالجمال والأنوثة والمال حتى لا يقدر إنسان على كسري، ونسيت أن أسلح نفسي بالإيمان والتقوى .

تسلحوا قبل أن "تموتوا قريبا ."

لا تحسبِ أني هجرتك طائعا

غُرفة تكاد تكون مُظلمة، إلا أن القمر البازغ في السماء كسر هذا الظلام بإضاءة خفيفة، يعلو صوت "فيروز" بأغنيتها من الـ "LAPTOP"الخاص بها، ترتدي رداء نومها أسود اللون من الحرير يصل حتى ركبتيها، يكشف عن ذراعيها فتضع فوقه شالًا أسود من الفرو، وشعرها الأسود الداكن مربوط لأعلى على هيئة "ذيل الحصان"، تقف أمام نافذتها المُطلة على نهر النيل تتأمله وتدخن سيجارتها، الهالات السوداء تظهر بخفة أسفل عينيها، يعلو صوت الأغنية مرددة "لو تعلمين بما أجن من الهوى لعذرت، أو لظلمت إن لم تعذري."

أطفأت سيجارتها ورمت الشال فوق إحدى الطاولات، حاولت النوم ولكنها كانت مُحاولة يائسة -كـعادتها- منذ فترة، مرّ من الوقت ما لا تحصاهُ، جلست تبكي كالأطفال، ثم وضعت الشال على ذراعيها وأخذت عُلبة سجائرها، ولم تأبه بأنها ترتدي رداء نوم وخرجت إلى

الكورنيش، ظلت تتجول في الشارع شاردة الذهن ونظرات الناس تُلاحقها في تعجب أو إعجاب، وقفت برهة أمام النهر ثم أبعدت تلك الأفكار الانتحارية عن عقلها وأكملت طريقها المجهول، وجدت لافتة مُنيرة مكتوب عليها "دكتور هشام عامر أخصائي أمراض نفسية وعصبية"، ظلت تُفكر قليلًا ثم صعدت إلى عيادته، رمقها الناس أجمع فتساءلت في نفسها هذه المرة: لِم يتعجبون منها؟! أليست هذه عيادة أمراض نفسية أي أنهُم أيضًا مرضى نفسيين؟! إذن لِم ينتظرون منها تصرُفًا طبيعيًا؟!، أليس الجميع يظن أن المريض النفسي هو مريض عقلي ويلقبونه بالمجنون؟! لِم ينتظرون منها تصرُفًا عاقلًا، أليس جميعُنا مجانين؟ !

سألت الممرض: هل يمكنني حجز موعد مع الطبيب؟ ولكنني نسيت أموالي في المنزل يمكن أن ترسل أحد معي بعد انتهاء الموعد ليحصل على المال.

– استريحي وسأسأل الطبيب .

جلست على أحد الكراسي ووضعت قدمًا فوق الأخرى، أشعلت سيجارتها وبدأت تتأمل المكان، حائط أبيض ومكتب لا يختلف عن العيادات الأخرى ولكن ما لفت انتباهها أزهار البنفسج الموجودة بكل مكان على سور النافذة وعلى الأرض والمكتب ثم جاء الممرض ليخبرها بموافقة الطبيب، بدأ التناوب بالأدوار وظلت تدخن السجائر وتتجول في المكان وتستنشق الأزهار حتى أخبرها الممرض بمنع التدخين فأطفأتها ثم جاء دورها لتدخل إلى الطبيب، دخلت وهي تحاول أن تداري ذراعيها بشالها ووقفت على الباب بعد أن أغلقه الممرض، لم يلحظ "هشام" وقوفها على الباب بينما كان يكتب بعض الأشياء في أوراقه، ثم وضع الأوراق في ملف ونظر إليها، فتعجب من رداء نومها أول الأمر ثم حاول إخفاء ذلك حتى لا يسبب لها الإحراج وعندما لاحظت ذلك حاولت إخفاء ردائها بالشال .

– لَمَ تقفين على الباب؟ تفضلي .

اقتربت وجلست على الكرسي أمامه ويفصل بينهما مكتبه الخاص .

- أيمكنني معرفة الاسم؟

- شهد.

- السن؟

25.-

- احكي لي، ما المشكلة؟

- هل يمكنني إشعال سيجارة؟

فقال بدهشة: ماذا؟ !

ابتسمت ابتسامة صغيرة: بالطبع ليست هذه مشكلتي، أنا فقط أشعر بالتوتر ولن أرتاح إلا بإشعال سيجارة والممرض منعني عنها .

- هي بالفعل ممنوعة، ولكن سأسمح لكِ بهذا .

- والموسيقى والأغاني؟

- أي موسيقى؟

سألته بتعجب: ألا تُعالج مرضاك بالموسيقى؟ !

- لا .

- أهي ممنوعة أيضًا؟

- نعم، هذا سيزعج المرضى المنتظرين بالخارج .

- يمكنك إخفاضها لأقل درجة .

- حسنًا .

فتح الـ "LAPTOP" وظل يفتش في مقطوعاته الموسيقية حتي اختار واحدة منهم، فكانت أغنيتها المفضلة فنظرت إليه بذهول: يا إلهي! إنها مقطوعتي المفضلة .

رد بجدية: الآن أيمكننا البدء؟

نظرت إلى (الشازلونج) فقال: يمكنك النوم عليه إن أردتي.

صعدت إليه واتخذت وضعية النوم وتشبثت عيناها بالسقف ووضعت يد فوق الأخرى على بطنها ثم قالت بهدوء مكسور لا يشابه روحها المتحدثة منذ قليل: يُقال أن أبي وأمي قد تزوجا عن قصة حب

تُشبه الأساطير، رفض أهل أمي زواجها من أبي فهجرتهم لتعيش معه، لكن حقيقةً أنا لم أر ذلك الحب، أبي كان كمثل جميع الرجال يُعجب بالفنانات وعارضات الأزياء، وعندما تزوج أمي كانت تشبههن، ولكن مع إرهاق الحياة أصبحت مثل الزوجات التي نعرفهن، وبدأ أبي ينتقدها مرة تلو الأخرى ويشبهها بالبقرة والعجل وغيره، لم يفهم أن تلك الفنانات لا يقمن بأعمال المنزل مثل أمي ولا يرضّعنّ أطفالهن مثلها وعندما يحملن يقمن بعملية تلو الأخرى حتى يستعدن رشاقتهن، إذن لمَ لا يجني لها المال إذا أراد أن تشبههن؟

عندما كنت في عامي الثالث من الثانوية العامة، أبي هجر أمي وتزوج إحدى عارضات الأزياء ثم طلبت أمي الطلاق ولبى أبي رغبتها ولم تلبث أشهر حتى هجرتني أمي إلى لبنان لتستعيد جمالها ورشاقتها لتنتقم من أبي وتريه أنها جميلة واعتمدت على أني ناضجة بكفاية لتحمل مسؤولية نفسي وكانا يرسلان لي ما يكفيني من المال.

صمتت برهة ثم أغمضت عينيها تخفي ما بداخلها من ألم .

– صدقني هذا مؤلم.

فجاء رد الأغنية: "لا تحسبي أني هجرتك طائعًا."

ثم هربت دمعة كانت سجينة عينيها فمسحتها بسرعة، كان "هشام" يصغى إليها باهتمام شديد فاعتدلت في جلستها ثم قالت: اعذرني أريد أن أرحل .

– لكني لم أقل ردي على ما سمعت أو حتى علاجك !

– أنا لم آتي لكي أحصل على علاج، فقط جئت لكي أتكلم، أحيانًا فقط كل ما نحتاجه هو شخص يصغي لنا دون إبداء النصائح وها قد انتهيت .

ثم حملت شالها على كتفيها وخرجت من الغرفة وظل "هشام" يتبعها بعينيه بتعجب ثم أسرع إلى شرفته ليراها وهي تتجول شاردة تدخن السجائر ثم نظر إلى زهرة البنفسج الموجودة على نافذته بتأمل وركض فجأة إلى الخارج وتعجب الممرض والمرضى ولكنه لم يلحظ هذا ولم يلحظ وجودهم حتى، ركض في اتجاهها حتى وصل إليها ومشى بجوارها فقال وهو يلهث: هل يمكنني توصيلك حتى المنزل؟

- أشكرك، لا داعي لذلك .

- لكنني أريد ذلك .

- لكنني لا أريد ذلك.

- ألم تخبري الممرض أن بإمكاني إرسال أحد معكِ لتدفعي له ثمن الجلسة؟

- نعم، لقد فهمت، أنا آسفة .

- لا داعي للأسف، فقط أخبريني لِمَ لا تريدين سماع عِلاجِك؟

- هل علاجك سيُعيد من هجروني؟

- لا ولكنه سيعيدك أنتِ، أراهن أنكِ لم تدخني السجائر إلا من فترة قصيرة وكنت ترتدين ألوانًا غير الأسود وكنتِ تضحكين وتمرحين وأيضًا كنتِ لا تتجولين في الشوارع برداء النوم .

فنظرت إليه بتعجب وخجل .

- لا تنظري إليّ هكذا، هل أنا أكذب؟

- في الحقيقة لا .

- إذن فلنتفق، ستأتين عيادتي كل يوم سواء لتحكي ما يحمله قلبك من ألم أو لأقول لكِ رأيي وعلاجك.

- حسنًا سآتي، والآن ها قد وصلنا، تفضل معي لكي أعطيك مالك .

- هذه الجلسة هدية مني لكِ، تصبحين علي خير.

ثم تركها ورحل ظلت تتابعه بعينيها متعجبة ثم صعدت لمنزلها ولأول مرة منذ فترةٍ طويلة نامت .

وفي صباح يوم جديد كعادتها منذ فترة الستائر مغلقة ولا يمكن لأي شعاع نور أن يتسلل إلى غرفتها، تحتسي القهوة ثم تجلس على سريرها تدخن السجائر وتسمع أغنيتها المفضلة وتفكر لتستعيد ذكريات تتمنى حذفها من الواقع، وعند غروب الشمس ارتدت فستانًا أسود طويلًا، ذا أكمام طويلة، مُطرزًا، وتركت شعرها متحررًا.

ظلت تتجول وتتأمل النهر حتى وصلت إلى عيادة "هشام" وعندما دخلت إليه رحب بها بسعادة: كنت أنتظرك طوال اليوم، وإن لم تأت كنت سآتي إليكِ .

- أنا لا أتخلف عن موعدي، لا تقلق.

- لِمَ لم تأت في الصباح؟

- أنا لا أخرج في النور .

- لِمَ؟

- لا أعلم بالضبط، ولكن لا أحبه.

- أو تخشيه؟

- كيف؟

- أنتِ تميلين إلى الظلام؛ لأنه يشبه الظلام الذي بداخلك، كانت عائلتك تملك نور حياتك وعندما رحلوا أصبحتِ تخشين أن يهجرك أحدهم مرة أخرى، ففضلتي أن تعيشي وحدك في الظلام.

- وما الحل؟

- سنجرب شيئًا مما قرأته من كتاب "تخلص من المشاكل النفسية، للدكتور إبراهيم الفقي"، ثم حمل (أباچورة) وقربها من عينيها: أغمضي

عينيك وقربيها من هذا الضوء وتخيلي أن كل ما تحملينه من ذكريات وألم تخرج منكِ وتتكون في كرة هذا الضوء، أغمضت عينيها ووجهت رأسها تجاه الضوء .

- استرخي تمامًا كأنكِ تجلسين وحدك وفكري بكل ما يزعجك وتخيليه بالضوء .

صمتت تمامًا وبدا على وجهها علامات الاسترخاء فكانت تشبه الملائكة بهذا الوجه الهادئ البرئ أو بمعنى أدق، تشبه زوجته التي ماتت في حادث منذ سنوات، شعرها المسترسل بجانبها، كاد أن يُداعب خصلاتها بأنامله ثم انسحب، وبدأ ننى عينها يتحرك تحت جفنها كأنها ترى شيئًا وبدأ "هشام" ينتبه لتلك التغيرات التي تطرأ عليها، بدا على وجهها علامات الألم والاستياء، كانت تسمع أصوات متداخلة، تسمع صوت طفلة صغيرة تبكي تستنجد بصراخ قائلة: "ماما، ماما"، وسمعت صوت إحداهن تصرخ وأصوات أخرى متداخلة لا تستطيع تمييزها، ثم فتحت عينيها فزعة وصدرها يعلو شهيقًا وزفيرًا فقام "هشام" بسرعة وأحضر كوب ماء .

– أعلم أن ما رأيتيه ليس بالهين، ولكن يجب أن تقصي عليّ كل ما رأيتيه .

– يجب أن أرحل .

وقف محتجًا: لا، ليس كل مرة تهربين من مواجهة مشكلتك .

– لا أريد أن أتحدث.

– ولكني أريد.

– حسنًا، تحدث مع نفسِك.

ثم تركته ورحلت فنزل بسرعة وسار بجوارها وحاول التحدث في أي شيء غير ما حدث: أتعلمين؟! أنا أخشى التحدث مع نفسي، كم هي قاسية، دائمًا تذكرني بالمواقف المؤلمة التي يشع فيها الفراق والخداع أو لحظات سذاجتي التي تؤدي بي إلى القاع، إن النفس أكثر الأشخاص إيلامًا وقسوة، لا أنصحك التحدث إلى نفسك على الإطلاق.

– وماذا تفعل عندما تريد أن تقص شيئًا لا تريد أن تخبرًا أحد به؟

- أكتبه على ورقة ثم أحرقها .

- وما الورقة إلا نفسك ولكن تتحدث لها بالكتابة .

- أنا أكره الكتابة، أنا أسوأ شخص يمكنه مسك القلم، كنت دائمًا أرسب في موضوع التعبير، لذلك عندما أقص ما بداخلي للورق يكون بإيجاز كبير ثم أحرقها.

- وهل هذا يريحك؟

- كثيرًا.

ثم صمتا دقيقة .

- تشبهين زهرة البنفسج .

- كيف؟

- إن زهرة البنفسج تُسمى بالجمال الحزين، وأنتِ في الحقيقة جميلة، تسرقين الأنظار، ذلك الجمال الهادئ الذي يُذكركَ بالأطفال والملائكة، حتى ذلك الحزن الذي في عينيكِ منذ رأيتك، يجعلكِ أجمل أو أنتِ التي

جعلتِه جميلًا، علميًا، الحزن يقلل من جمال الإنسان، أما أنتِ فجعلتِ الجميع يتمنى الحزن .

احمرت وجنتيها وابتسمت نصف ابتسامة وأخفت وجهها ناظرة في اتجاه آخر بعيدًا عنه، ثم وجدا نفسيهما قد وصلا إلى بيتها .

- سأتركِكِ الآن ترتاحين وسأنتظرك غدًا.

- حسنًا.

في اليوم التالي استيقظت "شهد" وكعادتها تشرب القهوة في غرفتها المظلمة فوقفت أمام نافذتها التي تغطيها الستائر ثم حاولت نزعها فجاء الضوء شديدًا ينير غرفتها أو ينيرها هي، ثم أغلقتها مرة أخرى وهزت رأسها بالرفض كأنها تنفض رأسها من تلك الأفكار .

أما "هشام" كان يمارس عمله واستقبل الحالات بعقل مُغيب، عيناه لا تفارق الساعة المعلقة على الحائط ينتظرها، لقد أتى الليل وغابت الشمس ولكنها لم تأت، كان يضرب الجرس للممرض كل دقيقة ليسأله: ألم تأت الآنسة "شهد"؟

فيأتيه الجواب مُحمّولًا باليأس، تساءل في نفسه: هل يذهب إليها لعلها مريضة وتحتاجه؟ بالتأكيد ثمة مشكلةٍ ما، ثم يرد على نفسه أنها تعيش وحدها لا يصح أن يذهب إليها حتى لا يفتح باب حديث الناس عنها، مّرَ أسبوع على هذا الحال وهو لا يعلم شيئًا عنها، ليس معه رقم هاتفها، يدور حول العمارة التي تقطن بها، يقف بالساعات أمام العمارة لعله يراها، يخشى أن يسأل حارس العمارة عنها فيسبب لها المتاعب، كان يبيت في العيادة لعلها تأتي في أي لحظة، ثم علا في عقله هاجس ماذا لو فعلت بنفسها شيئًا؟ هل يمكن أن تكون قد انتحرت؟ ليس ببعيد، فإن حالتها النفسية كانت سيئة، غادر العيادة بسرعة تجاه بيتها يُحدث نفسه: غبيّ، كيف لم أفكر بهذا، ماذا لو فات الأوان، أنا طبيب فاشل .

وقف أمام العمارة حائرًا فهو لا يعلم أي دور تسكن فسأل حارس العمارة .

وقف أمام شقتها ودق الجرس وقلبه يكاد يخترق الباب ففُتح ووجد أمامه طفلة لا تتعدى السبع سنوات .

- هل الآنسة "شهد" موجودة؟

فتركته وركضت إلى الداخل في رقة وبراءة صائحة: ماما أحدهم يريدك .

اخترقته كلمة "ماما" كطلقة مستقيمة تستهدفه تخترق صدره، ثم ظهرت أمامه تلك "الماما شهد" تسرقه من شروده، فقالت بارتباك: تفضل.

فرد بارتباك متبادل: لا يمكنني الدخول وأنتِ وحدك، سأنتظرك بالأسفل .

- لست وحدي، ماما هنا.

اخترقته الطلقة الثانية وتشبث مكانه يحدق بها بعينين تترجى التفسير لما يحدث .

- أرجوك ادخل .

دخل معها وجلس حيث أشارت وجلست أمامه فسألها: ماذا يحدث؟

فلم تجد ردًا، فسأل: لِمَ انقطعتِ عن حضور الجلسات؟ إن كنتِ لا تريدين الحضور كان يمكن أن تُطمأنيني عليكِ، وكيف تقول لكِ تلك الطفلة "ماما"، ووالدتك ألم تخبريني أنها هجرتكِ؟ بالله عليكِ فسري لي ما يحدث؟

فقالت بصوت يهتز: سأقول لك الحقيقة.

ثم صمتت برهة تستعيد شجاعتها ثم قالت: أبي لم يهجر أمي، أبي مات منذ عامين، وأمي لم تهجرني، أنا التي هجرت والداي لأتزوج من شاب أحببته ورفضوه، ثم ذلك الشاب هجرني ليتزوج عارضة الأزياء لأني بعد الزواج وحملي فقدت رشاقتي، فهجرتُ ابنتي إلى لبنان لأستعيد جمالي لأنتقم منه وتركت طفلتي مع أمي وعندما عدت وجدت طليقي أخذ ابنتي من أمي وهددني أنه سيرفع قضية وبالتأكيد سيفوز بها لأني هجرتها، ومنذ أسبوع عَلِمَ طليقي أنه مصاب بمرض سرطان المعدة فأعاد إليَّ طفلتي لأنه لا يقدر على العناية بها، أي أن تلك القصة التي أخبرتك بها أنا التي ارتكبتها ليس أبي وأمي، كنت أريد أن أعلم فقط

كيف ستشعر ابنتي عندما تكبر وتنضج وتجد نفسها بين أب وأم بهذه الأنانية، لا يتحملون المسؤولية، كنت أكره نفسي وأهرب من تأنيب الضمير واشتياقي لطفلتي .

كانت علامات الاندهاش تستحوذ وجه "هشام" ثم قال: لِمَ لم تخبريني بالحقيقة؟ كنت سأساعدك .

- كيف أقص تلك الحياة البشعة على شخص لا أعرفه؟

- ليست بهذا السوء.

- لا يهمني شيئًا الآن إلا ابنتي، أريد أن أعوضها عن كل ما حدث، أريد أن أكون لها نِعمَ الأم والأب والصديقة والأخت.

صمت ثوانٍ ثم قال بتردد: يمكنني القيام بدور الأب .

ظهر على وجهها الاندهاش وقالت: ماذا؟

- أريد أن أتزوجك، صدقيني سأكون لها نِعمَ الأب وسأساعدك في تعويضها عما حدث .

- لا أستطيع، لا يمكنني أن أكون أنانية مرة أخرى، لا أريد أن يشاركها أحد حياتي، أريدها وحدها تملك كل حياتي، سأهبها كل دقيقة ولحظة أمتلكها .

فقال بخيبة أمل: على كل حال أتمنى لكِ حياة سعيدة، وإن واجهتِ مشاكل سواء مع طليقك أو شيء آخر فأنا موجود .

- أشكرك على اهتمامك .

ثم ودعا بعضهما وودعته الطفلة وهي تتشبث برقبة أمها، ثم أغلقت الباب وبدأت "شهد" تداعبها في رقة وحنان وصوت ضحكات الطفلة يعلو، ثم ذهبت الطفلة وحملت كرسيًا صغيرًا ومن عليه صعدت إلى طاولة ووقفت عليها لتسحب ستائر النافذة ودخل الضوء إلى البيت وحملت علبة السجائر ورمتها من النافذة وعلى صوت زقزقة العصافير .

كيفك أنت

في بيت مكون من ثلاثة أدوار بحي شعبي، بالنهار في تمام الساعة التاسعة صباحًا، تَدوس السيدة "شهد" ذات الثلاثين عامًا حقائبها ببيتها الجديد، يعلو صوت ارتطام الحقائب بالباب من شدة ضيقه، تخرج السيدة "هند" من الشقة المقابلة لها، تصرخ بلهجة شعبية وتربط رأسها بحجاب: ما هذا الإزعاج في بداية الصباح؟

"شهد" برقتها وأنوثتها المعهودة: آسفة، ولكن الباب ضيق، لا أستطيع إدخال الحقيبة.

"هند" بترحيب: أنتِ الجارة الجديدة؟ ثم أردفت ببلاهة: ما هذا السؤال الغبي؟!، بالتأكيد نعم .

ابتسمت "شهد" مؤكدة لها، فقالت "هند" وهي تتجه نحوها: هيا تفضلي، يجب أن تحتسي الشاي معي.

- لا أشكرك.

- بالتأكيد أنتِ مرهقة، سنفطر معًا وتكون بداية الخير بيننا .

بعد إلحاح وافقت وتركت أغراضها أمام الباب، دخلت البيت وجلست في ما تدعوه "هند" بالصالون، مكون من كنبة صغيرة مكسوة بغطاء أخضر مرسوم عليه ورد أحمر، وكرسي من الخشب جلست عليه، طاولة معدنية ومفرش فوقه تلفاز، حائط أبيض وبرواز يحتوي على صورة أنثى تحمل طفل، يبدو أنها هند قبل أن تزداد الكثير من الكيلو جرامات ورجل، هذا الرجل، هي تعرفه، هو مَنْ تبحث عنه، وضعت يدها على قلبها خشية من أن تسمع "هند" ضجيجها الداخلي، ثم سألت بهدوء: هذا زوجك؟

وقبل أن تجيب خرج صوت خشن من الداخل مناديًا "هند"، فأجاب قلب "شهد" بدقاته، فهي تحتفظ بهذا الصوت داخلها منذ سنوات، قاطعت "هند" صمتها المرتجف: تعالى يا "هشام" لدينا جارة جديدة .

صرخت "شهد" داخلها: لا يا هشام، أرجوك لا تأت .

ثم دخل "هشام" مرتديا قميصًا أزرق وبنطالًا بنيًا، رجل أسمر البشرة ذو شارب سميك، يبدو أنه في عقده الرابع، فيزين شعره الخفيف بعض من الخصلات الرمادية، دخل إليهما "هشام" مرحبًا بحرارة، مقدما يده للتحية: أهلا وسهلا.. أنرتي البيت .

ثم وقف محدقا بصدمة وبادلته "شهد" الصمت، ثم نظرت إلى يده الممتدة إليها، فسلمت عليه، ضغط بكل قوته على يديها كأنه يقول: اشتقت إليكِ، ألم تشتاقي؟

ثم سحبت يدها بصعوبة ونظرت لهند خشية أن تنتبه لما يحدث، ولكن هند كانت تنظر ببلاهة لا تفقه شيئًا وقالت ضاحكة: يبدو يا هشام أن شهد خجولة جدا، تخيل.. وافقت بصعوبة أن تشرب معي الشاي ومنذ أن دخلت وهي مترددة في الحديث .

فرد بعفوية: نعم، فهي دائما هكذا .

تعجبت هند: دائما؟!

– أقصد يبدو أنها دائما هكذا، فهي حتى لم تقل كيف حالك .

فضحكت هند وتبادل شهد وهشام النظرات، ثم استأذن هشام ليذهب إلى عمله، فقالت شهد: لننزل معا فأنا أيضا أريد أن أرحل لأشتري بعض ما ينقصني.

تردد هشام ولكن لم يعترض وخرج وتبعته شهد بعد أن حيت هند وتبعتهم هند ثم ضمت زوجها وقبلته فتطاير الغضب من شهد وسبقته بالنزول بضع درجات على السلم ثم تبعها فقالت: يبدو أن زوجتك تحبك كثيرا .

- نعم .

- وأنت؟

- وأنا ماذا؟

- وأنت تحبها كثيرا؟

- هي طيبة وحنونة، تتحملني في أسوأ حالاتي ولا تشكو من قلة المال .

ردت مؤكدة: هل تحبها؟

- نعم .

- آه، جيد .

ثم وصلت إلى المدخل فكادا أن يفترقا ثم عاد هشام سائلا بتردد: وأنتِ؟ كيف حياتك؟ هل ..

ثم تلجلج صوته خشية من الإجابة: تزوجتِ؟

- لا، كنت أنتظرك .

ابتسم ثم تنحنح وقال: سأذهب للعمل.

- أتذكُر ضمك لي ومُداعبة خصلات شعري وتدليلي لـلِحيتك؟ أتذكر نعومة أصابعي على وجنتيك ويديك؟ أتذكر صوتي ينطق اسمك؟ ألم تشتاق؟.. أنا أشتاق .

- اشتقت يا "شهد."

ثم رحل.. ظلت ثابتة للحظة حائرة بين السعادة والخوف من المجهول .

في الليل، دلفت شهد لشرفتها وعلى صوت فيروز: "بتذكر آخر مرة شفتك سنتا، بتذكر وقتا آخر كلمة قلتا، وما عدت شفتك، وهلأ شفتك، كيفك أنت ملا أنت."

ثم دخل هشام شرفته بعد أن تأكد من نوم زوجته .

- لازلتِ مجنونة.

- بك.. مجنونة بك.

صمتا قليلا ثم سألت بترقب: هل تحب زوجتك؟

تنهد،ثم قال: لا.. حاولت، ولكن كل مرة كنت أشعر تجاهها بشيء كنت أراكِ فيها .

- أنت من فعل بنا هذا .

- كنت أخشى أن تندمين، كنت صغيرة، فتاة في العشرين عاما بالتأكيد مراهقة تتخذ قرارات جنونية وتسير وراء قلبها دون تفكير، كنت أخشى أن تتزوجيني وبعد ذلك تكتشفي أني رجل كبير وتندمين،

كنتِ تريدين المرح وتتمتعين بحب الحياة، أما أنا فرجل عملي، أسعى دائما للوصول إلى المكانة العالية .

ردت بسخرية: وهذه هي المكانة العالية؟

- لقد فشلت .

- هل تذكر آخر يوم رأيتك فيه؟

- نعم، أتذكره كأنه أمس، كنا في المطار، ترتدين فستانًا قصيرًا بلون البحر، وشعرك مسترسل، وعيناك مليئة بالدموع، ودعتيني ثم قلتِ إن لم تعد لخطبتي بعد شهر سأتزوج، مر الشهر وكان قلبي يعتصر آلامًا، ولكن قراري لم يتغير واعتقدت أنك تزوجتِ فعلا لذلك حتى لم أحاول أن أبحث عنك .

- ولكني بحثت عنك في كل مكان، وذهبت لبيتك القديم فقالوا إنهم سمعوا إنك هنا، فأتيت باحثة عنك .

ثم سمع صوت هند في الداخل فقال: يبدو أن هند استيقظت، لنتحدث غدا

ثم دلف، فقالت بسرعة: سأراك غدا .

ثم زفرت بغضب وضربت الأرض بقدمها: هند هند هند .

* * *

في صباح اليوم التالي

صوت باب بيت هشام يفتح وطرقات قدميه على الدرج ثم باب حديدي يفتح، فخرجت شهد مسرعة لتلحق به، خرجت إلى الشارع في اتجاهه .

- هشام.

ثم صدمتها سيارة من الخلف: هرول إليها بسرعة وحملها وهو يهتف باسمها، فقالت بألم: لا تقلق، أنا بخير .

فحملها وصعد إلى منزلها ووضعها على سريرها وجاء بكوب عصير وسألها: هل تشعرين بتحسن؟

- أنت السبب.

- أنا، لمَ؟

- لأنني كنت أريد أن أوعدك قبل أن ترحل، كيف لك أن تذهب دون وداعي؟

- آسف.

- لا ليس بهذه السهولة .

- ماذا أفعل لتسامحيني؟

- يجب أن تدفع لي تعويضًا، عليك أن تأخذني إلى الكورنيش بعد منتصف الليل .

- الكورنيش، بعد منتصف الليل، هل جننتي؟

- قليل من الجنون، كثير من السعادة .

تردد ثم وافق، فهتفت بسعادة وضحكا معا .

* * *

في المساء

وقف هشام في شرفته متصلا بشهد هامسًا: هيا انزلي، انتظريني في نهاية الشارع .

- إلى أين؟!

فقال متعجبا: الكورنيش.

فقالت بسخرية: الكورنيش، بعد منتصف الليل، هل جننت؟

فضحك مقلدًا إياها: قليل من الجنون، كثير من السعادة.

ثم ضحكا معا، وأغلق الهاتف فوجد هند تسأله: لم ترتدي هذا، هل أنت ذاهب؟

- نعم .

- ماذا بك؟

- لا شيء .

- إلى أين في هذا الوقت المتأخر؟

- أريد أن أتجول قليلًا.

- هل أنت بخير؟

- نعم .

- هشام، ماذا بك، لم طريقتك معي متغيرة؟

- لا شيء، مضغوط قليلا في العمل، أريد أن أتجول لأتحسن .

- تحب أن آتي معك؟

رد وهو متجهًا إلى للباب: لا .

ثم اقتربت منه وقبلته في رأسه: اعتني بنفسك، لا تتأخر، سأنتظرك لن أنام.

- نامي .

ثم رحل .

* * *

تقابل "شهد" و"هشام"، وتجولا على الكورنيش متشابكي الأيدي والهواء بارد، قال "هشام": أتمنى أن نقضي اليوم بطريقة مختلفة، يوم لا أنساه أبدا .

اقتربت منه وقالت: أعدك بأن أفعل كل ما بوسعي لأجعلك أسعد رجل .

– أنا بالفعل أسعد رجل .

ثم وقفا أمام سور الكورنيش للحظة ونظرت له بغموض، رمت هاتفها على الأرض ثم صعدت على السور، فصرخ بها: هيا انزلي، ماذا تفعلين أيتها المجنونة؟!

– ألم أخبرك؟ قليل من الجنون، كثير من السعادة، هيا اصعد أم إنك خَائف؟

نظر لثوانٍ ثم صعد بجانبها ومسك يديها وجذبها لأسفل وقفزا معًا بالمياه، أخرجا رأسهما من الماء وأخذا يتنفسان بسرعة، ثم بدأت تضحك .

– لم أعلم أن هناك مَنْ هو أكثر جنونًا مني .

ضحك .

- ولكن كان مؤلمًا بشدة، لم تترك لي فرصة لكي أحتفظ بالهواء.

- آسف.

مالت إليه ووضعت قُبله على وجنته وهمست في أذنه: هكذا يكون الاعتذار .

بدءا السباحة والصمت سائد حتى خرجا من الماء وبدأت ملابسهم إفراز المياه وشعرهم مُبتل ورجع للخلف، جلست على الأرض وسط الطريق، نظر لها ثم ضحك وقال: ما هذا الذي تفعلينه؟!

ضحكت هي الأخرى: أحاول صنع يوم مختلف .

فضحكا معا، ثم قامت والتقطت هاتفها من على الأرض وانطلقت منه أغنية"THE KETCHUP" ، خلعت حذاءها وبدأت ترقص "السالسا"، و"هشام" يتأملها، ثم قام هو الآخر وبدأ يرقص معها، يتمايلان معًا وملابسهما تُسقط المياه والقمر من فوقهما أحمر اللون يضيف منظرًا ساحرًا ويساعد في زيادة هرمون الجنون، يسحبها من يديها إليه

فتزداد ضربات قلبها ثم تبتعد وتتمنى أن يجذبها مرة أخرى، يتطاير فستانها وخصلات شعرها وسيطرتها على قلبها .

انتهت الأغنية ولكنهما لازالا مُستمرين كأنهم لم يرقصا من البداية على الأغنية، بل كانا يرقصان على عزف قلبهما، سحبها هذه المرة إليه بشدة كأنه يأمرها ألا تبتعد وهي كطفلة تُطيع الأوامر، بدءا يتحركان ببطء في خطوات رقصة "السلو"، ثم بعد فترة طويلة من الزمن انقضت في الرقص عادا معا وعندما اقتربا من شارعهما تفرقا .

* * *

دخل هشام إلى منزله فاستقبلته هند مسرعة وضمته باكية: ما كل هذا التأخير؟ لقد قلقت عليك .

- أنا بخير .

- لا أصدقك، هل أنت غاضب مني؟

- لا، لم تقولين هذا؟

– أنت غريب معي منذ يومين، هل فعلت معك شيئًا سيئًا دون أن أقصد؟

شعر هشام بالذنب للحظات، فهي تقلق حيال أي شيء يخصه، لم تنم وظلت تنتظره، وفوق كل هذا تخشى إن فعلت ما يؤذيه، وهو الذي يؤذيها وكان يستمتع بوقته، يا لهذه الأنانية، قبل رأسها ثم قال: أنا آسف لجعلك تقلقين هكذا، صدقيني أنتِ لم تفعلي أي شيء يزعجني، بل أنت أفضل زوجة يمكن أن أحصل عليها، وأنت أفضل زوجة يتمناها أي رجل، ثم ضمها إليه ودخلا لينام وبعد أن غرقت في سبات عميق، قام هشام من سريره واتصل بشهد لتقابله في الشرفة، تزينت شهد ثم دلفت بسرعة وأول ما رأته قالت بسعادة: كنت أفكر فيك .

قال بمرارة: حقًا؟

– نعم، ماذا بك؟

– لا شيء .

ثم قالت مازحة: لابد أنك اشتقت إليَّ، ولكن غرورك لا يجعلك تقولها.

- نعم .

- هل يمكننا أن نعود؟

- هل أنا رجل سيئ؟

- لم؟!، أنت تحبني وأنا أحبك، ما السيئ في هذا؟!

- أنا خائن، إنني أخون زوجتي.

- بالطبع لا، سنتزوج.

- كيف سيكون لي قلب أن أفعل هذا بها؟

ارتفع صوتها بغضب: أنت لا تحبها، أنت تحبني أنا ولم تحب غيري، تزوجتها شفقة فقط .

- لا، لم يكن شفقة، بل لأنها أحبتني بصدق، لم تتمنى سوى سعادتي .

ردت بغضب وحذر: هل أفهم من هذا أنك ترفض الزواج بي؟

رد بصوت منكسر: نعم .

ثم أردف: لا أنكر أني لازلت أحبك ولا أنكر اني أخطأت عندما تركت معتقدا أن هذا أفضل لي ولك ولكن ما ذنبها، ما الخطأ الذي ارتكبته لكي يفطر قلبها، هل ذنبها هو حبها؟!

- وأنا ما ذنبي؟!

- ليس ذنبك ولكن أيضا ليس حقك .

ثم تركها ودلف إلى الداخل، فوجد هند خلفه وعينيها باكية تلجلج قليلا ثم قال: هند لا تفهمي خطأ، صدقيني لم يحدث شيء .

اندفعت إليه وضمته وزادت حدة بكائها قائلة: لم تقل يوما أحبك، وكنت أعلم دائما إنك لم تحبني يوما قط، ولكن ما فعلته الآن ورفضك لحبك وسيرك عكس قلبك مخافة أن تؤلمني كان أجمل وأرق من مائة أحبك يمكن أن تقولها لي .

- أنتِ أفضل امرأة على وجه الأرض، أنا آسف على كل شيء .

أمس انتهينا

"أمس أنتهينا فلا كنا ولا كان، يا صاحب الوعد خلي الوعد نسيان"، صوت فيروز الخافت يزين المكان .

الحياة، هل تأملت يومًا هذه الكلمة، معناها، لا أقصد المعنى اللغوي، بل المعنى الشعوري، عندما تنطقها بماذا تشعر؟ ما أول صورة تأتي إلى ذهنك؟

عني أنا، كلما نطقت هذه الكلمة أرى نفسي فوق دراجة، أجري بأقصى سرعة في طريق ملئ بالبشر فاقدة السيطرة، جيد، على الأقل استطعت ركوب الدراجة في خيالي، الجميع - بما فيهم أنا- نعتقد أننا نجيد السيطرة والتحكم بالأمور، نتفاخر بقوتنا وصمودنا، ومع تكرار المحطات، نبكي كالطفل في مرحلة التسنين، نفس الألم الذي يعانيه ولثته تتشقق، ولكن ثمة بصيص أمل يأتي من هذا الطفل الشاكي أيضًا، فمرحلة التسنين تنتهي وهذه الأسنان التي طالما آلمته كثيرًا تسقط إلى

أسفل سافلين، ثم يُرزق بالأسنان الدائمة، التي تعوضه خير تعويض عما حدث، إذن فلنتفق أنه لولا الألم ما حصل على الخير، نحن أيضًا سوف نرزق بالأسنان الدائمة يومًا ما.. يومًا ما سنحلق في سماء السعادة، يوما ما سنشكر هذه الآلام التي لولاها ما عرفنا قيمة السعادة .

كان هذا ما ختمت به "شهد" روايتها الأولى، فالمكان مزدحم تملؤه الضجة ممزوجة بالسعادة، كان حفل توقيع الرواية الأولى لـ "شهد"، ترتدي فستانًا أسود من الحرير يصل إلى قدميها، مفتوح إلى آخر ظهرها على شكل"V" ، ذا أكمام طويلة، شعرها الأسود ينطلق بحرية يصل إلى آخر ظهرها، كانت السعادة تتراقص في عينيها الزرقاء، لا تصدق أنها تقف هنا الآن وبين يديها حلمها الذى رأته في خيالها منذ سنوات، كانت توقع وهي تقول لنفسها "نعم يا "شهد"، هذا حقيقي"، في البداية، كانت تكتب عن حيوات الجميع، أشياء لم تتذوقها من قبل ولكنها كانت تتوقع كيف مذاقها، كتبت عن الحب، الفراق، الموت، الخيانة، النسيان، الخير والشر، ثم بعد فترة تذوقت الحب فكانت تكتب إليه.. هو فقط ولا أحد سواه، ثم بعد فترة تذوقت الفراق فكتبت عنه.. هو فقط لا

أحد سواه أيضًا، كأن أفضل شيء في حياتها أصبحت تمارسه لأجله هو، سواء موجود أو غير موجود، حتى أفضل الأشياء دونه مؤلمة ولا لون أو طعم لها، فأفضل الأشياء أصبحت تشبه طعنات في القلب تحفر اسمه، في هذا القدر من الازدحام والضجة، كان أحدهم يراقبها من بعيد في صمت، لا يرى في هذا المكان سوى ابتسامتها، كان يتقدم نحوها خطوات، ثم يتردد فيبتعد مرة أخرى، وظل على هذه الحال حتى أصبح المكان أقل ازدحامًا، وانسحبت "شهد" من بين الناس وابتعدت بضع خطوات لـتشعر بالهدوء قليلًا، كان ضوء الشمس يداعب وجهها فيظهر منظر سقوط أشعة الشمس على البحر في عينيها الزرقاء، ولفتت انتباهها الأزهار الوردية والحمراء، والأزهار البيضاء تلتف حولها في شكل دائرة فوقفت تتأملها ثم جاء صوت هادئ من خلفها: هل يمكنني الحصول على توقيع؟

تجمدت مكانها فهي تعرف جيدًا هذا الصوت، بل تحفظه فنظرت إلى مصدر الصوت، فوجدت من تشبثت عيناه بعينها، صاحب الشعر المجعد واللحية الخفيفة والعيون البنية كان يرتدي بنطالًا أبيض "جينز"

وقميصًا أسود، هو "هشام" حبيبها الذي انفصلت عنه منذ عامين، ظلت "شهد" تنظر إليه في ذهول بضع ثوان، ثم أمسكت الرواية من يديه لتوقع عليها فقال: اشتقت إليكِ.

قالت ببرود وهي تدير ظهرها: ماذا أتى بِك؟

- اشتقتُ إليكِ.

- ثم ماذا؟

- كنت أريد أن أُظهر لكِ اهتمامي .

التفتت إليه ونظرت لعينيه مباشرة بتحدٍ وقالت: عن أي اهتمام تتحدث، الاهتمام هو أن تسأل عن أحوالي حتى إن كنت تعلم أني بخير، الاهتمام أن تقل لي إني الأفضل حتى إن لم أكن كذلك، لأني وقتها سأحاول جاهدة أن أصبح كذلك، الاهتمام هو أن تكون ملجأي وقت الخوف والصِعاب، الاهتمام هو أن تكون أول شخص بجانبي وقت الألم، الاهتمام أن تكون الأمل، الاهتمام هو أن تأخذ بيدي وتعبر بي محطات اليأس والإحباط، الاهتمام أن تكون نهاري الذي يساعدني على الإشراق .

ثم أردفت بنبرة ساخرة وأدارت إليه ظهرها: يُسعدني اعتقادك أنك مُهتم .

وأكملت تأملها للأزهار .

- مازلتِ تحبين الأزهار يا "شهد"؟

لم ترد، فوقف بجوارها ونظر إلى الأزهار وأكمل: هل تذكرين حينما كنت أقطف لكِ الأزهار فتغضبين لأنك لا تحبين أن يفقد هذا الجمال حياته؟

نظرت له شزرا: كنت بارعًا في قطف الحيوات .

-" شهد".. أنا جئت لأعتذر منك على ما بدر مني وأتمنى أن ننسى ما فات وسأتقدم لأبيك ونعلن خطبتنا .

- هل أنت غبي؟! هل تعتقد أني سأغامر بحياتي مع شخص مثلك لا يستطيع تحمل المسئولية وأناني، هل تعتقد أني سأضيع عمري مع شخص يهدم أحلام الآخرين ويقلل من شأنهم؛ لأنه فاشل؟ !

قاطعها "هشام" بحدة: "شهد".. يكفي هذا، قلت لكِ أنا أعتذر .

– هل كلامي جرح مشاعرك؟ دعني أكمل لك وسأريك الجرح، أنا من شعر بالجرح عندما كنت تقارنني بكل فتاة تراها هنا وهناك وتردد: "شهد" لِمَ لا ترتدين مثل هذه؟ "شهد".. لِمَ لا تضعين مثل مساحيق هذه الفتاة؟ "شهد" لِمَ لا تفعلين مثل هذه، هذه وهذه، وهذه؟ أنت لا تعرف الحب أنت حتى لا تعرف المشاعر، هل تتخيل كم مرة جرحتني بهذه الطريقة؟! هل تتخيل جعلتني أكره كم فتاة ليس لها ذنب؟! كنت تجعل ثقتي في أنوثتي تهتز، كنت أنظر للمرآة بالساعات يوميًا لأسألها هل حقًا أنا قبيحة؟ وكنت أكره نفسي، أنتَ لم تحبني أنتَ أحببت وجهي وجسدي في البداية مثلما أحببت وجه وجسد كل هذه الفتيات وعندما تعودت عليّ أصبحت تريدني أن أكون جنية، وأتشكل كل يوم بمظهر الفتاة التي تعجبك، بل كل دقيقة بفتاة مختلفة، يا عزيزي وجهي هذا سيأتي يوم ويصاب بالتجاعيد ويصبح شاحبًا، هذا الجسد سيأتي يوم ويصاب بالترهلات ولن أستطيع الحركة، ووقتها أنت أول من سيرحل

عني وسيبحث عن فتاة في عمر ابنته، الحب هو أن تحب داخلي قبل أن تحب خارجي، أن تحب عقلي وقلبي وشخصيتي وأفكاري وأحلامي، أن يكون حلمي هو حلمك وتساعدني وتساندني على تحقيقه وتشجعني عندما أشعر بالإحباط والانكسار، لكنك كنت تسخر من أحلامي، ليس لأن حلمي تافه، بل لأنك ضعيف وفاشل وتفتقد الثقة بالنفس، ليس لديك أحلام وطموحات، تُسقط فشلك على المجتمع والناس والحظ، وهذا الحلم الذي كنت تسخر منه ها هو الآن بين يديك، كنت تقلل من شأني ليس لأني قليلة بل لأنك قليل الشأن ولا تثق بنفسك، كنت تخشى أن أتركك وأذهب لغيرك فكنت تحاول أن تجعلني أتوهم بأني لا أستحق الحب، على الرغم من كل هذا كنت أتحمل، لكنك كنت في كل لحظة تجعلني أكره حياتي معك، كنت كلما يحدث لي مشكلة وأريد أن أحادثك فيها تقلل منها أو تتجاهلها وتغيِّر الموضوع وتقول: كفاكِ اكتئاب، ألا تملين من هذا؟! كنت تريد أن نقضي حياتنا فقط للكلام المعسول، الكلام إن أحببته مرة لن أحبه الأخرى، أنتَ لا ترى الحب إلا

كلامًا معسولًا، الحب أن أجدك عندما أحتاجك دون أن أطلب منكَ ذلك، الحب أن يكون حلمي هو حلمك، الحب عندما أتعرض لمشكلة تكون أول من بجواري، ليس أول من يهرب ويتركني وحيدة، هربت عني ستة أشهر وكنت تعتقد أني سأكون في انتظارك وعندما تحدثني سأرقص فرحا، لا يا "هشام" وقتها كنت أشمئز من نفسي أني تحملت ثلاث سنوات من عمري معك، أنتَ جبان، أنتَ تحبني فقط، لا تريد أن تتحمل مسئولية، لا تريد أن تسمعني، لا تريد سوى أن أكون أنا بجانبك، أنا من يجب أن يسمعك، أنا من يجب أن يخفف عنك، أنا من يدللك، أنا من يجب أن تفعل كل شيء لتحافظ على هذه العلاقة وتنميها، إذن وأين أنا في كل هذا؟! أنا من سيسمعني؟! أنا من سيخفف عني؟! أنا من سيكون بجواري؟! أنتَ تحبني فقط يا "هشام" وأنا امرأة لا يكفيها الحب فقط، ينقصني معك التقدير والاحترام والسعادة، ينقصني أن أحب رجلًا يا "هشام"، وليس طفلًا مراهقًا يريد فقط كلمات الغزل والتدليل،هل علمت الآن كيف يكون الجرح؟! أنا امرأة

تكره الرجل الضعيف، كنت أشعر دائمًا أني في سجن وأنا من أسجن نفسي، كنت أريد الرحيل عنك ولكن كنت أخشى أن ينفطر قلبي وأشتاق إليك ولكن علمت أن الحب إن لم يجعلني قوية لا فائدة منه والآن حان وقت الحرية من هذا السجن يا "هشام ."

أدارت ظهرها وهمت أن ترحل حتى قال: ستندمين كثيرا يا "شهد" على هذا القرار.

نظرت إليه مرة أخرى بسخرية: لن يتغير مذاق القهوة من بعدك، لن تموت الموسيقى ولن تتغير رائحة البحر ولن تتوقف أمواجه، لن يبهت لون الزهور، ولن تفقد الكتب حروفها، إذن فما المشكلة في البعد، أرجوك كُف عن الأوهام يا عزيزي.

وأدارت ظهرها مرة أخرى فقال: لن تجدي من يحبك مثلي يا "شهد ."

ردت دون أن تنظر إليه: وأنا أؤكد لكَ هذا، سأجد من يحبني أكثر منك .

مضت في طريقها وهي تشعر أن شيئًا ما كان ثقيلًا في قلبها قد زال، تشعر أنها حصلت على حريتها بعد أن كانت في سجن كبير، ثم قالت في نفسها: كُن على يقين أنك ستواجه مأساتك وحدك، لن يحملها عنك أحد، لن يواجهها أحد بدلًا منك، لن يتصدى لها غيرك، ستكون وحدك يا عزيزي، فلا تأب بذلك الزحام الخادع حولك وقت الراحة، لا تصدق الكلام، بل صدق الأفعال، والأفعال تثبت أن الوحدة هي النهاية المعهودة .

كان الهواء يداعب خصلات شعرها ووجهها كأنه يهنئها على حريتها .